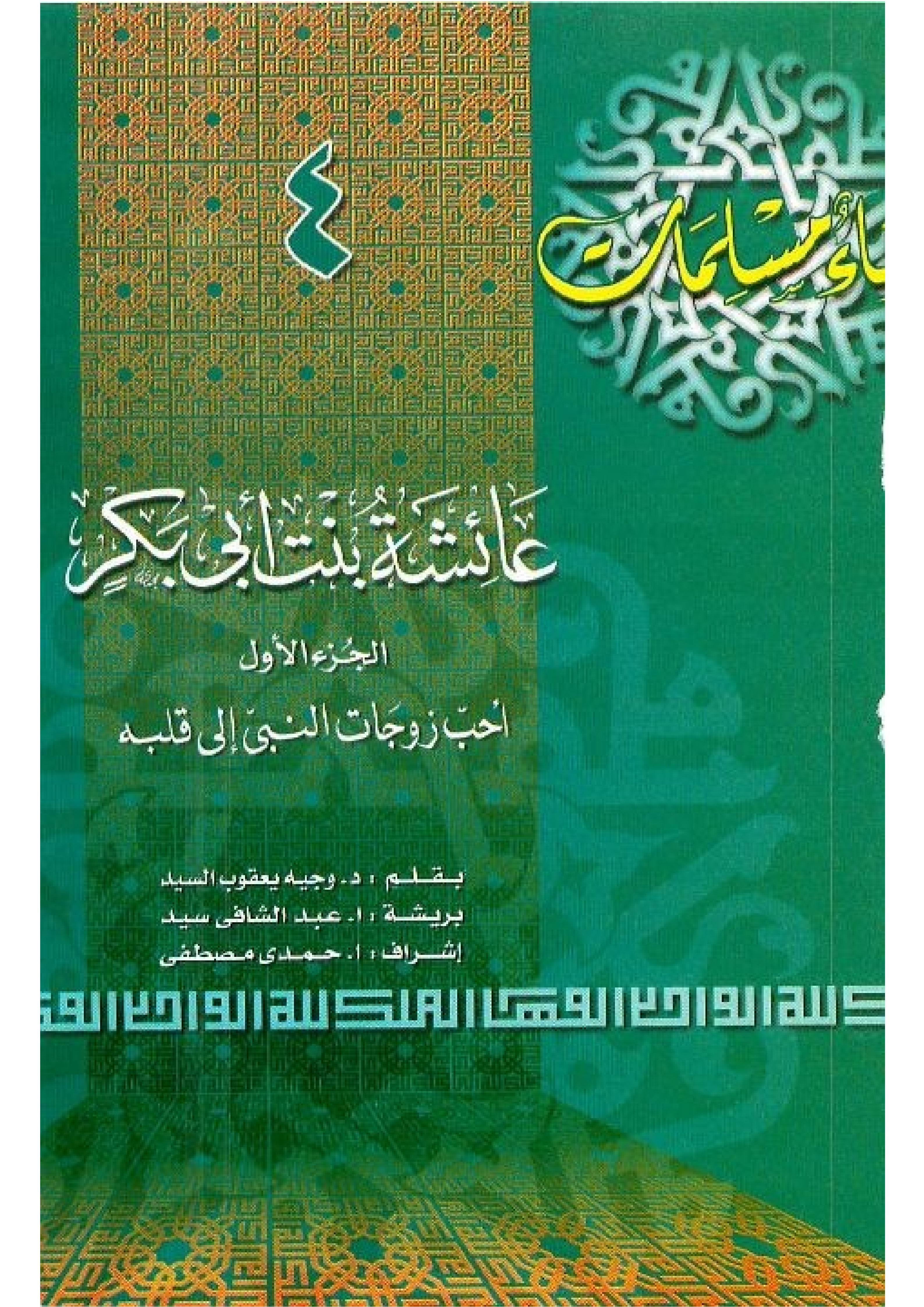

نساء مسلمات
٤
عائشة بنت أبي بكر
الجزء الأول
أحب زوجات النبي إلى قلبه
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافي سيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى

سألَ (عمرُو بنُ العاصِ) الرسولَ ﷺ بقوله :

ـ أيُّ الناسِ أحبُّ إليكَ يارسولَ اللّه ؟

فقال رسولُ اللّهِ ﷺ على الفورِ :

ـ (عائشةُ) !

فقالَ (عمرو) :

ـ لستُ أسألكَ عنِ النّساءِ .

فأجابهُ النبيُّ ﷺ قائلاً :

ـ أبوها (أبو بكرٍ) .

ولا يندهشُ الإنسانُ منْ حبِّ الرسولِ ﷺ الشديد لهذه الأُسرة بأسْرِها حبًا فاقَ الوصفَ ، فقدْ كانتْ أسرةً قرآنيةً ، تربَتْ على حبِّ اللّه ورسوله ، ونشأتْ على التضحيةِ والبذْلِ فى سبيلِ اللّه ، طمعًا فى رضوانِ اللّه ، وحبًا فى رسولِ اللّه ﷺ ، فبادلهمُ الرسولُ ﷺ حبًا بحُبٍ ، وقالَ عنْ صاحبه (أبى بكرٍ) :

ـ لو وُضعَ إيمانُ (أبى بكرٍ) فى كفَّةٍ ، ووُضعَ إيمانُ الأمةِ فى كفَّةٍ ، لرجحتْ كفَّةُ (أبى بكرٍ) .

وحينَ تسرَّبتِ الغيْرةُ إلى قلوبِ نساءِ النبىِّ ﷺ بسببِ حبِّه الشديد لـ (عائشة) ، قالَ لمنْ جاءتْ تعاتبه فى ذلك :



ـ لا تؤْذينى فى (عائشةَ) ، فإنهُ واللَّهِ ما نزلَ علىَّ الوحىُ وأنا فى لحافِ امرأةٍ منكنَّ غيرهَا .

وحينمَا دخلتْ عليهِ ابنتهُ (فاطمةُ) ، وهى منْ أحبِّ الناسِ إليهِ ، وقالتْ لهُ :

ـ إنَّ نساءكَ أرْسلننِى إليكَ ، وقدِ اجتمعْنَ وهنَّ يَنْشُدْنَكَ العدْلَ فى بنت (أبى قحافَةَ) .

فسألهَا النبىُّ ﷺ .

ـ أتحبِّيننِى ؟

فتجيبهُ (فاطمةُ) :

ـ نعمْ .

فيقولُ النبىُّ ﷺ :

ـ إذنْ أحبِّى (عائشةَ) !

فمنْ هى (عائشةُ) التى أحبهَّا الرسولُ ﷺ كلَّ هذا الحبِّ ؟

ومنْ هو أبوها الذى كانَ الصاحبَ والصَّديقَ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، وما دورُهُ فى حياته ؟

على الرغْمِ منْ زواجِ الرسولِ ﷺ منَ السيدةِ (سودةَ بنت زَمْعةَ) ، بعدَ وفاةِ زوجتهِ (خديجةَ رضىَ اللَّهُ عنها) ، إلا أنها



لمْ تملأْ عليه حياتَه ، ولمْ تسدّ الفراغَ الكبيرَ الذى تركتْهُ (خديجةُ) بوفاتها ، وكانَ الصحابةُ يشْعُرونَ بذلكَ ، فالسيدة (سودةُ) امرأةٌ كبيرةٌ فى السنِّ ، ولذلكَ فقدْ أرسلوا إليه (خولةَ بنتَ حكيمٍ) تعرضُ عليه الزواجَ من (عائشةَ بنتِ أبى بكرٍ) .

ولمْ يتردّدِ الرسولُ ﷺ فى الموافقةِ على هذا الزواجِ ، فقدْ كانَ يرغبُ فى توطيدِ العلاقةِ بينهُ وبينَ صاحبه (أبى بكرٍ الصديقِ) ، كما أنَّ (جبريلَ عليه السلامُ) أشارَ على الرسولِ ﷺ بالزواجِ منها لحكمةٍ يعلمُها اللَّهُ .

ففى الصحيحينِ من حديثِ (عائشةَ رضىَ اللَّهُ عنها) أنَّ النبىَّ ﷺ ، قالَ لها :

ـ أُريتُكِ فى المنامِ مرتينِ ، أرى أنكِ فى سَرَقةٍ من حريرٍ ـ أىْ قماشٍ أبيضَ ـ ويقولُ : هذه امرأتُكَ . فأكشفُ عنها فإذا هى أنتِ ، فأقولُ : إنْ يكُ هذا من عندِ اللَّهِ يُمضِه .

[متفق عليه]

ولذلكَ فقدْ قالَ النبىُّ ﷺ لـ (خولةَ بنتِ حكيمٍ) حين ذكرتْ له (عائشةَ) :

ـ اذهبى فاذكُريها علىَّ .

وانطلقتْ (خولَةُ بنتُ حكيمٍ) حتى جاءتْ بيتَ (أَبى بكرٍ) ، فوجدتْ زوجتَه أمَّ (رومانَ) ، فقالتْ لها :

ـ ما أدْخلَ اللَّهُ عليكمْ منَ الخيرِ والبركَةِ !

قالتْ أمُّ (رومانَ) :

ـ وما ذاك ؟

قالتْ :

ـ أرسلنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وعلَى آلهِ أخطبُ عليهِ (عائشةَ) .

فقالتْ أمُّ (رومانَ) :

ـ وددْتُ ، انتظرِى (أبا بكرٍ) .

فلما رجعَ (أبو بكرٍ) وأخبرتْهُ (خولةُ بنتُ حكيمٍ) بذلكَ قالَ :

ـ وهلْ تصلحُ لهُ ، وهى بنتُ أخيه ؟

فرجعتْ (خولَةُ) فذكرتْ ذلكَ للنبىِّ ﷺ فقالَ لها :

ـ قولى له : أنتَ أخِى فى الإسلامِ ، وابنتُكَ تحلُّ لىِ .

فخرجَ (أبو بكرٍ) ، وقالَ لـ (خولة) :

ـ ادعى لى رسولَ اللَّهِ ﷺ .

فمضتْ (خولةُ) إلى النبىِّ ﷺ ، فدعتْهُ فجاءَ بيتَ صديقهِ



(أبى بكرٍ) فخطبَ منهُ (عائشةَ) وهى فى السابعةِ من عمرها، واتفقا على إتمامِ الزواجِ بعدَ مدَّةٍ، حتى تكونَ قد نضجَتْ واستعدَّتْ لتحملِ مسئوليَّةِ الزواجِ.

وكانَ الرسولُ ﷺ يتردَّدُ على بيت صديقه من وقتٍ لآخرَ، وكانَ يوصى أمَّ (رومانَ) بـ(عائشةَ)، ويقولُ:

ـ يا أمَّ (رومانَ)، استوصى بـ(عائشةَ) واحفَظينى فيها.

وذاتَ يومٍ رأى الرسولُ ﷺ (عائشةَ) وهى تبكى فسألها عنْ سببِ بكائها فشكتْ له أمَّها، فدخلَ الرسولُ ﷺ عليها وعاتبها عتابًا شديدًا، وقالَ:

ـ يا أمَّ (رومانَ)، ألمْ أوصكِ بـ(عائشةَ)؟

وأصبحَ الرسولُ ﷺ يتفقَّدُ أحوالَ أسرةِ صديقهِ منْ وقتٍ لآخرَ، خاصَّةً (عائشةَ)، وكانَ يوصى بها والديْها بشكلٍ مستمرٍ، ولما أذنَ اللَّهُ لرسوله ﷺ بالهجرة، كانَ لهذه الأسرةِ دورٌ كبيرٌ فى إنجاحِ هجرةِ الرسولِ ﷺ، كما أنَّ زواجَ الرسولِ ﷺ لم يتمَّ إلا بعدَ أنْ هاجرَ إلى المدينة المنورة.

ففى هذه الهجرةِ المباركةِ اختارَ الرسولُ ﷺ صاحبهُ (أبا بكرٍ الصديق) ليرافقهُ فى هذه الرحلة، فكانَ نعمْ الرفيقُ والصاحبُ، حملَ كلَّ مالهِ معهُ لينفقهُ فى سبيلِ اللَّهِ.

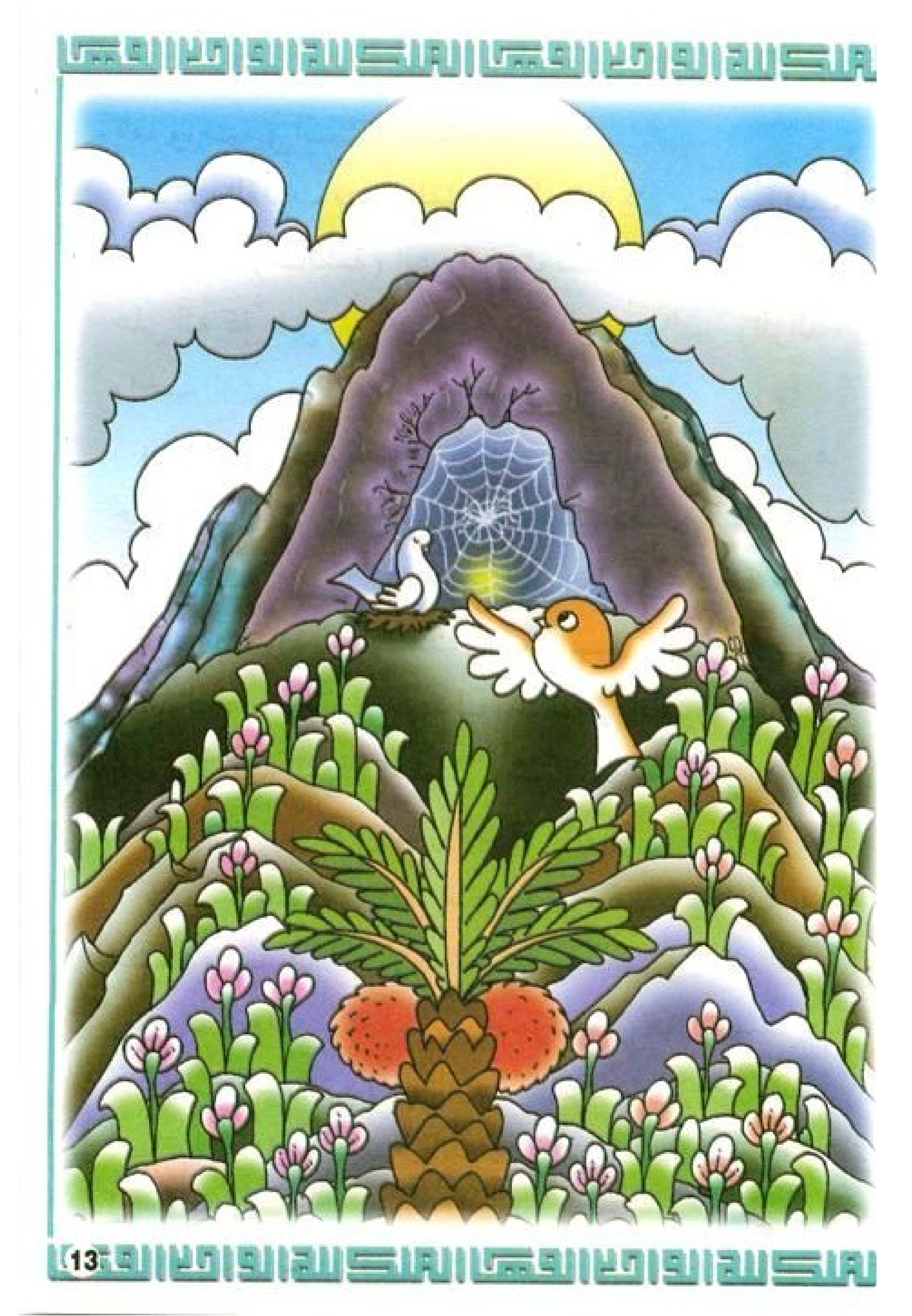
وبقى (عبد الله بن أبى بكر) بمكة لكى يحرس أمه وجده وأختيه ، كما كان يسمع الأخبار وينقلها إلى رسول الله ﷺ في الخفاء .

وقامت (أسماء بنت أبى بكر) بحمل الطعام والشراب إلى رسول الله ﷺ وأبيها ، وكانت تقطع مسافة كبيرة من أجل توصيل الطعام إليهما .

أما (عائشة) فقد كانت صغيرة ، وبرغم ذلك فقد كانت تساعد أختها ، وظهر انشغالها بالرسول ﷺ ، فقد كانت تظل ترقب عودة أختها وأخيها حتى تعرف منهما أخبار النبى ﷺ ، وكان قلبها الصغير يرتجف كلما سمعت أن قريشا أرسلت رجالا للبحث عن (محمد) وصاحبه، فقد كانت تخشى أن ينطفئ هذا السراج الذى يضىء حياتها بل يضىء حياة الناس كافة .

ولم تهدأ نفسها إلا بعد أن علمت أن رسول الله ﷺ قد وصل المدينة المنورة بسلام هو وأبوها ، فغمرتها السعادة وعمتها البهجة وكادت تطير من الفرح .

ولما استقر النبى ﷺ بالمدينة أرسل (زيد بن حارثة) ليصحب بناته ، وبعث إلى (عبد الله بن أبى بكر) لكى يصحب



أمَّهُ وأختيه (أسماءَ وعائشةَ) .

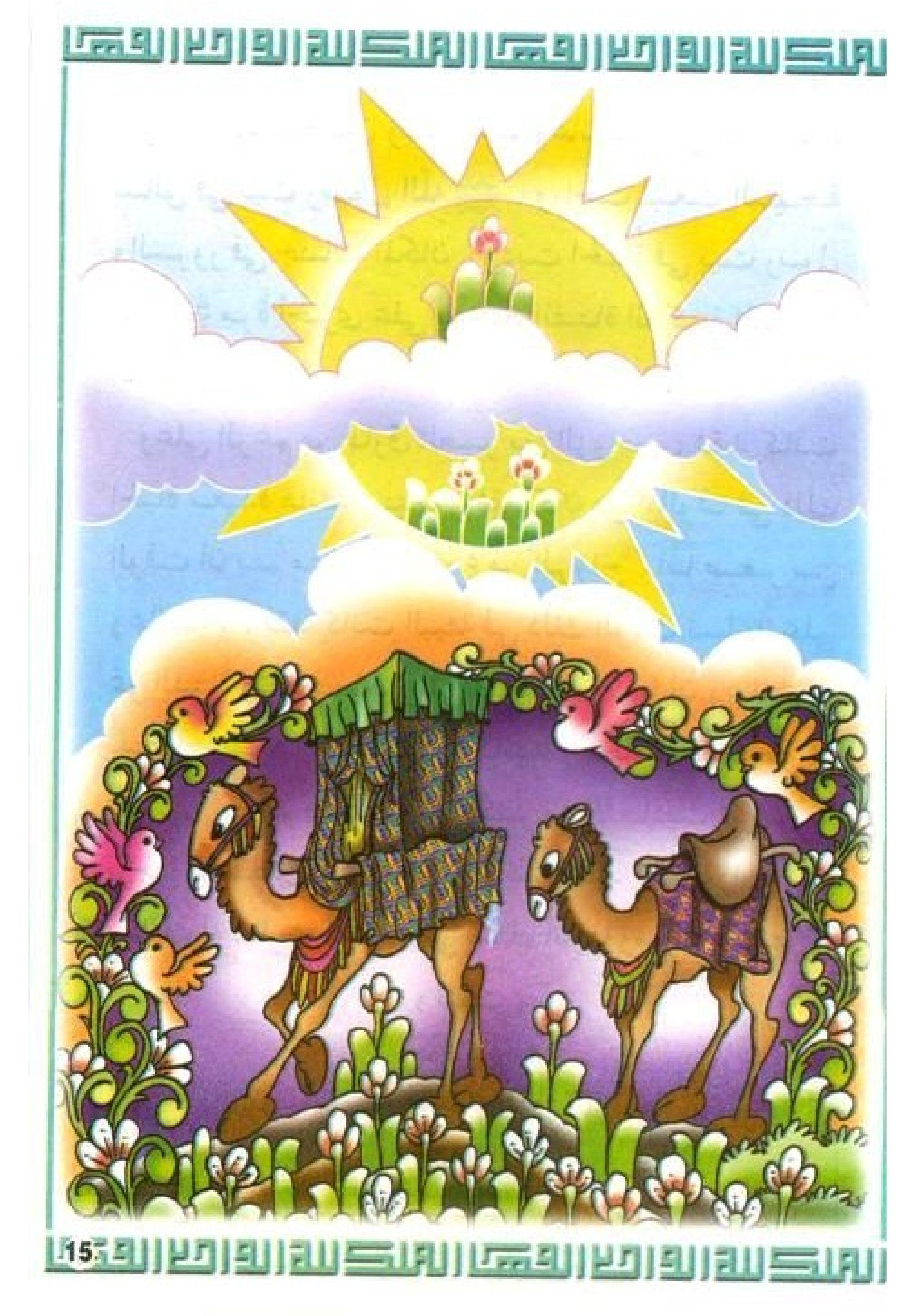
كانت القلوبُ تهفو للقاءِ رسولِ اللَّه ﷺ ، خاصةً قلبُ الصغيرةِ (عائشةَ) التى كانتْ تنظرُ إلى الرسولِ ﷺ على أنه كلُّ شئٍ فى حياتها ، إنهُ الزوجُ والنبيُّ والوالدُ ، والحبُّ الذى يحلّقُ بها فى سماءِ الإيمان .

وما إنْ وصلتْ (عائشةُ) المدينةَ وبلغت العاشرةَ من عُمرها حتى ذهبَ أبوها إلى الرسولِ ﷺ وتحدّثَ معهُ فى شأنِ زواجهِ منْ (عائشةَ) ، فما كانَ أسعدَ حالَ النبىِّ ﷺ بذلكَ .

كانَ الصحابةُ يعرفونَ مدَى حبِّ الرسولِ ﷺ لـ (عائشةَ) ، لذلكَ فقدِ اجتمعوا فى بيتهِ ليلةَ عُرسهِ ، وأظْهروا سعادتَهم الغامرةَ بهذا الزواجِ المباركِ ، وتسابقَ الجميعُ فى إدخالِ البهجةِ والسرورِ على نفسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

كانتْ (عائشةُ) تشعرُ بالخجلِ والرهبةِ ، ولذلكَ فقدْ مضتْ معهَا أمُّها أمُّ (رومانَ) إلى بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وجلستْ معها بعضَ الوقتِ ، ثمَّ انصرفتْ إلى حالِ سبيلِها بعدَ أنْ أوصتَ النبيَّ ﷺ بـ (عائشةَ) خيراً ، ودعتْ للزوجينِ قائلةً :

ـ هؤلاءِ أهلُكَ يا رسولَ اللَّهِ ، فباركَ اللَّهُ لكَ فيهنَّ وباركَ لهنَّ فيكَ .



ومنذُ هذه اللحظةِ ، وقدْ أخذتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) تتألقُ فى بيتِ رسولِ اللَّه ﷺ ، وراحتْ تبعثُ البهْجةَ والسرورَ فى جنباتِ المكانِ ، ودبّتِ الحياةُ فى بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مرةً أخرى على يدِ هذهِ الفتاةِ الذكيّةِ المتوقّدةِ الذكاءِ .

وعلى الرغمِ من فارقِ العمرِ بينَ الزوجين ، فقدْ كانتِ الحياةُ سعيدةً هانئةً بينهما ، فقدْ كانَ من المألوفِ فى ذلكَ الوقتِ أنْ يتمَّ مثلُ هذا النوعِ من الزواجِ ، أمَّا صغرُ سنِّ (عائشةَ) ، فقدْ كانتِ البيئةُ فى ذلكَ الوقتِ تساعدُ على نموِّ الفتاةِ ونضجِها فى سنٍ صغيرةٍ ، كما أنَّ (عائشةَ) بفضلِ عمرِها الصغيرِ وذكائِها ومعاشرتِها الطويلةِ للرسولِ ﷺ قدْ حفظتْ عنهُ الكثيرَ من الأحاديثِ ، وصارتْ مرجعاً للمسلمينَ فى كلِّ مكانٍ .. لذلكَ فقدْ كانَ الزواجُ موفّقاً وكانتْ له ثمارٌ عظيمةٌ ، جنى المسلمُ آثارَها ومازالَ يجنيها ..

(تمّتْ)

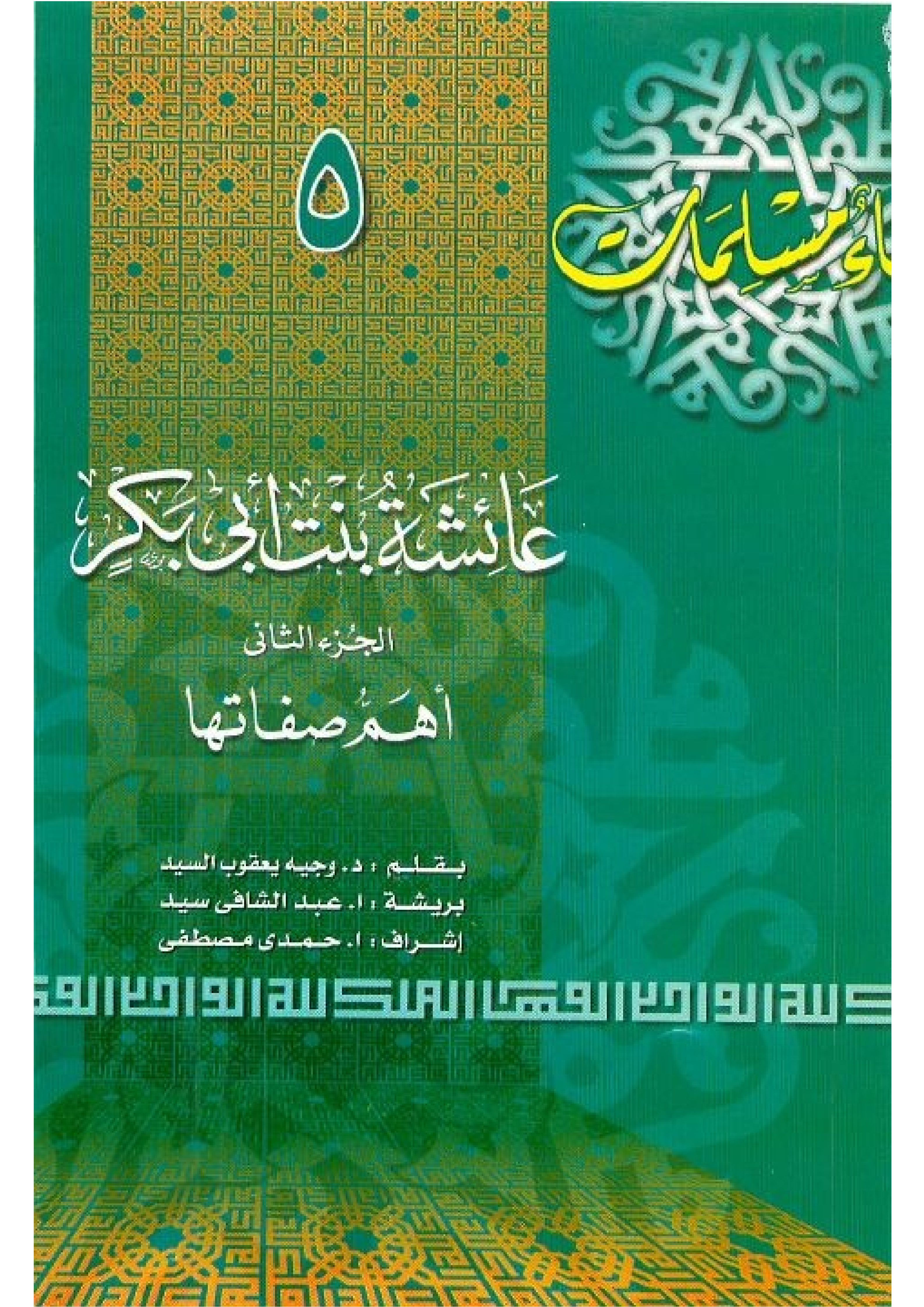
الكتاب القادم

عائشة بنت أبى بكر (٢)

أهم صفاتها

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٢٤٣٦

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٤٧٥ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧



مسلمات
٥
عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها
الجزء الثاني
أهم صفاتها
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

كانتْ (عائشةُ) تحبُّ النبيَّ ﷺ حبًا يفوقُ الوصفَ، فقدْ تفتحتْ عيناها منذُ الطفولةِ عليه وحدهُ ﷺ ، فأصبحَ كلَّ شيءٍ في حياتِها ، وقدْ وصلَ هذا الحبُّ أحيانًا إلى درجةِ الغَيْرَةِ .

فذاتَ ليلةٍ كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يبيتُ عند (عائشَةَ) ، فخرجَ من عندِهَا لبعضِ شأنه ، وأحسَّتْ به (عائشةُ) وهو يخرجُ ، فمضتْ خلفَهُ لكي ترى ما يفعلُهُ ، فلما رآها الرسولُ ﷺ قال لها :

- مالكِ يا (عائشةُ) ، أغِرْتِ ؟

فقالتْ :

- ومالي لا يغارُ مثلي على مثلِكَ ؟

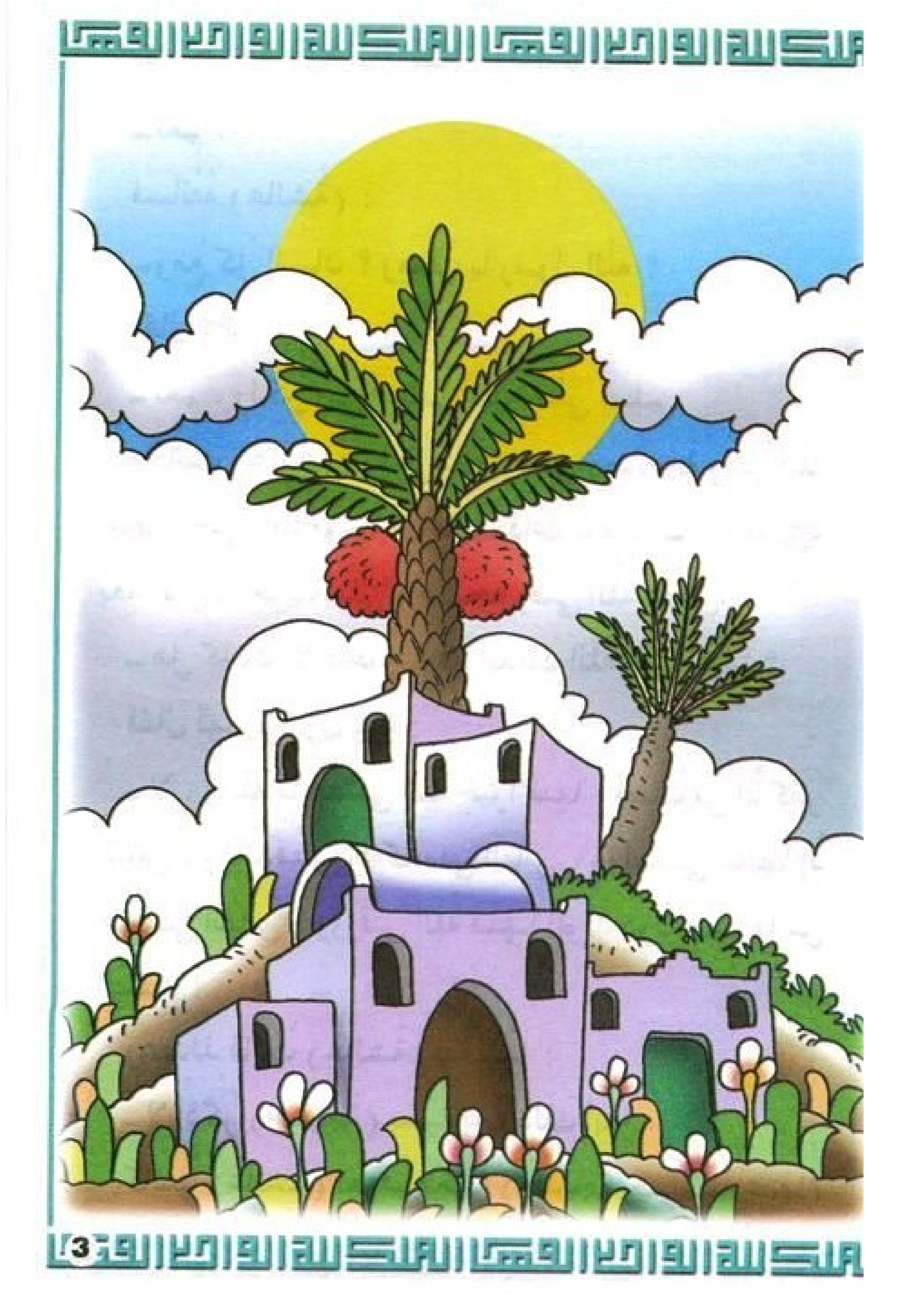
فقالَ لها النبيُّ :

- أقدْ جاءكِ شيطانُكِ ؟

فقالتْ :

- يا رسولَ اللَّهِ ومعي شيطانٌ ؟

فقالَ النبيُّ ﷺ :



- نعمْ .

فسألتهُ (عائشةُ) :

- ومعَ كلِّ إنسانٍ ؟ ومعكَ يا رسولَ اللَّهِ ؟

فقال ﷺ :

- نعمْ ، ولكنَّ ربِّى أعانَنى عليهِ حتَّى أسلَمَ .

وكانتْ (عائشةُ) تشعرُ بالغَيْرةِ منْ (خديجةَ رضىَ اللَّهُ عنها) حتى بعدَ موتِها ، وقالتْ ذاتَ يومٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ أنْ رأتهُ حزينًا على (خديجةَ رضىَ اللَّهُ عنها) :

- هلْ كانتْ إلا عجوزًا ، قدْ أبدلكَ اللَّهُ خيراً منها ؟

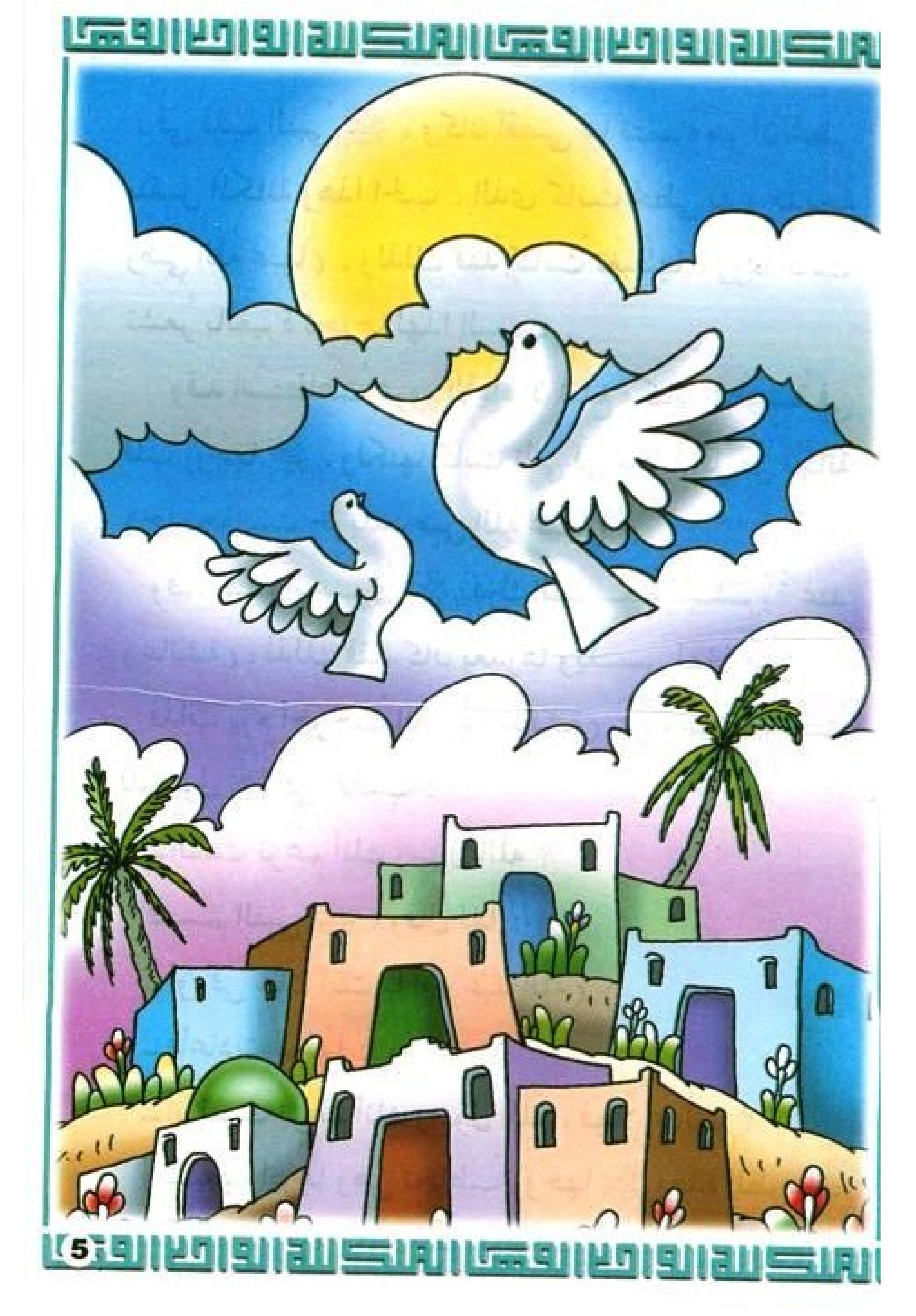
فقالَ لها الرسولُ ﷺ :

- لا ، واللَّهِ ما أبْدلَنى اللَّهُ خيراً منها ، آمنتْ بى إذْ كفرَ الناسُ ، وصدَّقَتْنى إذْ كذَّبنى الناسُ ، وواستنى بمالِها إذْ حرمَنِى الناسُ ، ورزقَنِى اللَّهُ منها الولدَ دونَ غيرِها من النِّساءِ !

وعندئذٍ قالتْ (عائشةُ) لنفسِها :

- لا أذكرُ (خديجةَ) بسبَّة بعدَ ذلكَ أبدًا .

كانتْ (عائشةُ) تعرفُ مكانةَ (خديجةَ رضىَ اللَّهُ عنها)



فى قلبِ النبىِّ ﷺ ، وكانَ أقصى ما تتمناهُ هو أنْ تحظَى بنفسِ المكانةِ وهذا الحبِّ ، الذى كانتْ تحظَى به (خديجةُ رضىَ اللَّهُ عنها) ، ولذلكَ فقدْ كانتْ تغبِطُهاَ ، وربما كانتْ تشعرُ بالغَيْرَةِ نحوهَا لهذا السببِ .

وقدِ استطاعتْ بمرورِ الأيامِ أنْ تبلُغَ مكانةً عظيمةً فى قلبِ زوْجِهَا ﷺ ، ولكنها كانتْ تأتِى فى مكانةٍ أقلَّ من مكانةِ (خديجةَ بنت خويلدٍ رضىَ اللَّهُ عنها) .

وقدْ كانَ الرسولُ ﷺ يدركُ الطبيعةَ البشريَّةَ عند (عائشةَ) ، لذلكَ فقدْ كانَ يعذرُها ويلتمسُ لها العُذْرَ .

فذات يومٍ أخرجتْ الغيرةُ (عائشةَ) عنْ وعْيِها ، وقالتْ للرسولِ ﷺ فى غضبٍ :

ـ ألَسْتَ تزعُمُ أنكَ رسولُ اللَّه ؟

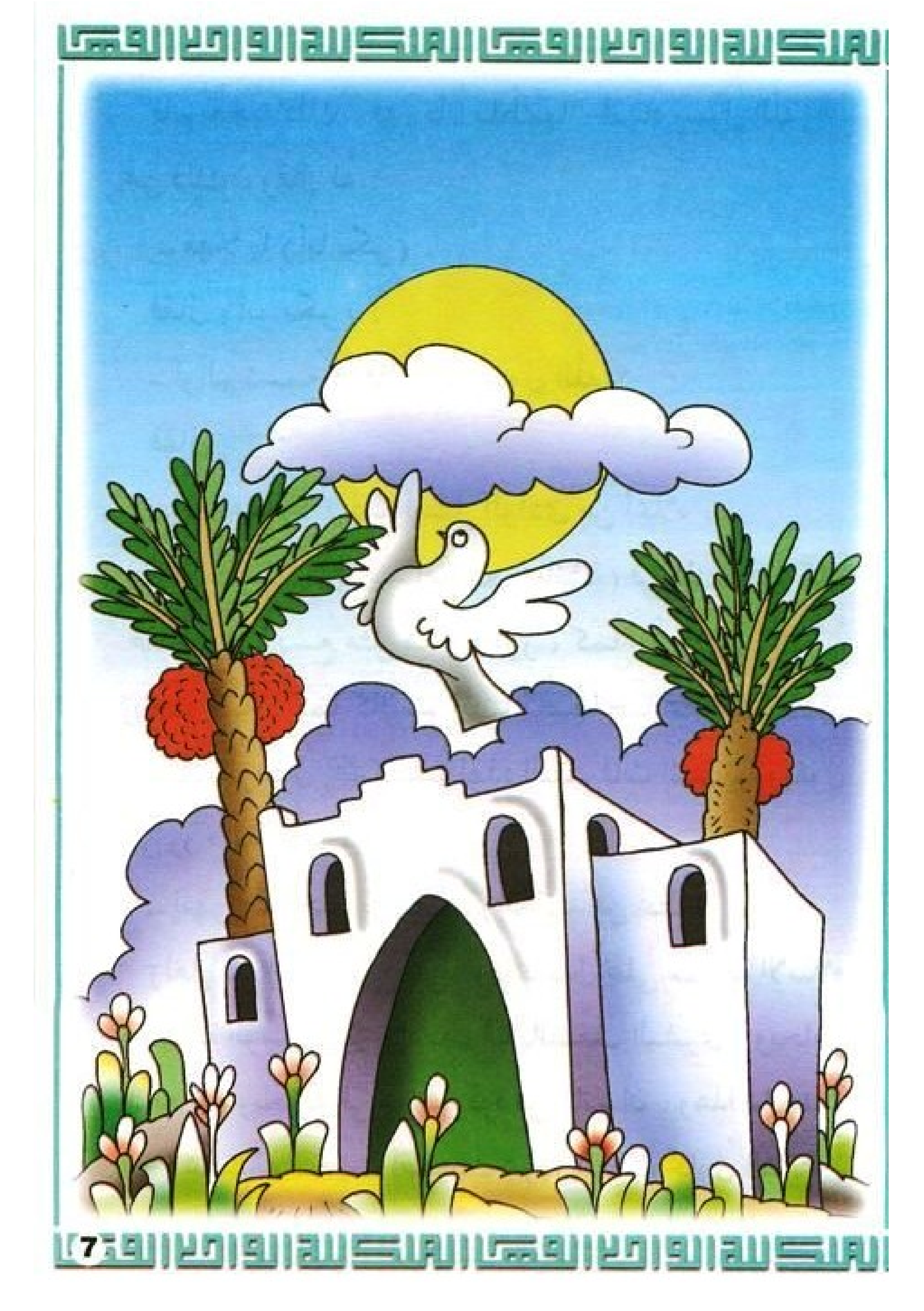
فتبسمَ النبىُّ ﷺ ، وقالَ لها :

ـ أوَ فِى شكٍ أنتِ يا أمَّ (عبدِ اللَّه) ؟

ـ فأعادتْ قولَهَا :

ـ أو لستَ تزعُمُ أنكَ رسولُ اللَّه ، فهلا عدلْتَ ؟

وسمعَهَا أبوهَا وهى تخاطبُ زوجَهَا ﷺ بهذه الطريقةِ ،



فلمْ يُعْجِبْهُ ذلكَ ، فهمَّ بأنْ يلطُمَها ، فنهاهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ عنْ ذلكَ ، وقالَ لهُ :

ـ مهلاً يا (أبا بكرٍ) .

فقالَ (أبو بكرٍ) :

ـ أوَ لم تسمعْ ما قالتْ يا رسولَ اللَّهِ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ إنَّ الغيْرَةَ لا تُبْصِرُ أسفلَ الوادى من أَعْلاهُ .

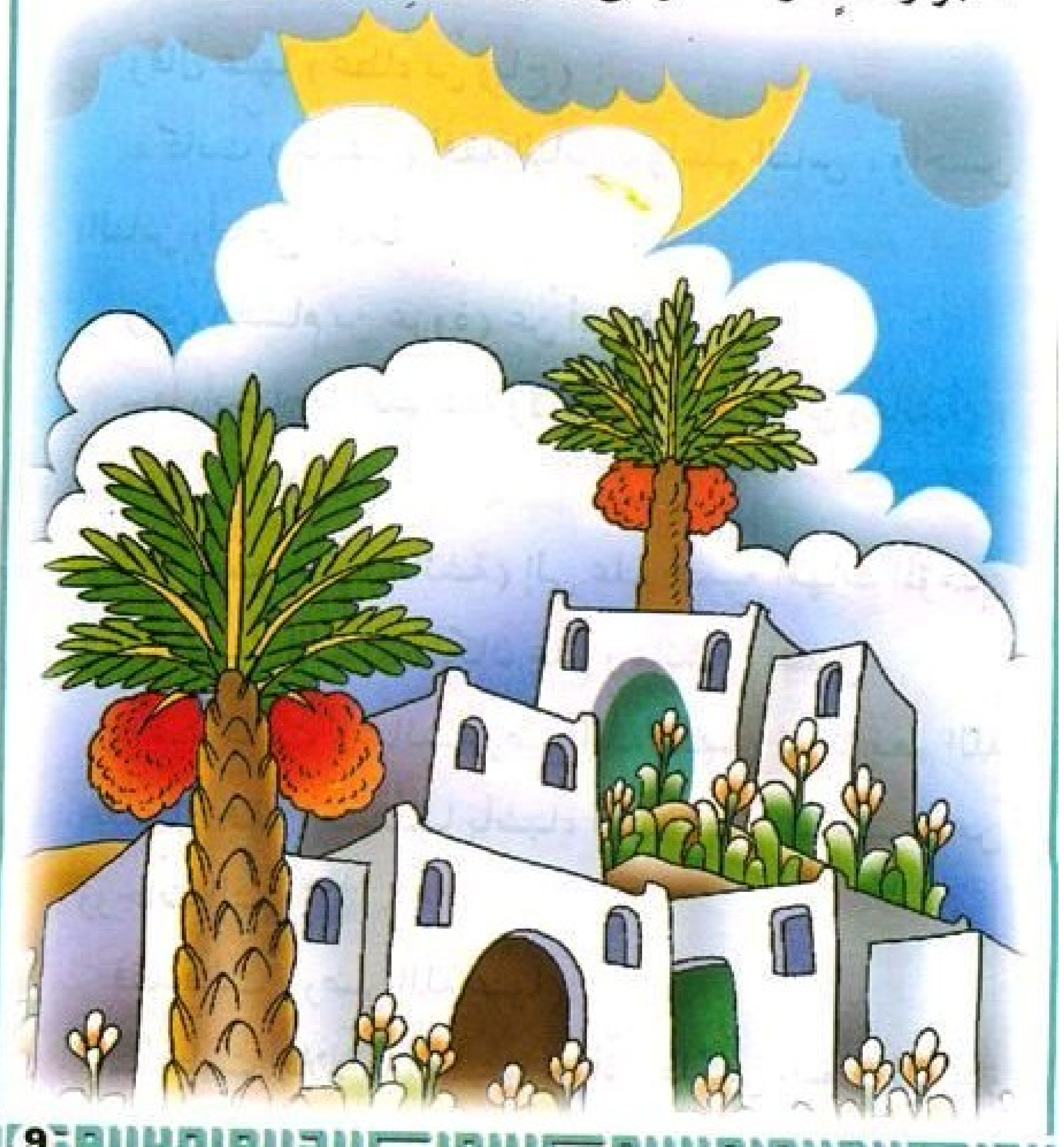
وكانَ الرسولُ ﷺ يتسامحُ مع (عائشةَ) فى ذلكَ، فقدْ كانَ صدرُهُ رحبًا يسعُ مثلَ هذه الأمورِ ، كما أنهُ كانَ يعرفُ أنَّ زوجتَهُ تحبُّهُ ، كما كانَ هو أيضًا يُحبها حبًا عظيمًا .

وكانَ الرسولُ ﷺ يبتسمُ لهذه التصرفاتِ النسائيةِ ويقولُ عنْ زوجاته مداعبًا :

ـ إنهنَّ صواحبُ يوسفَ ، وإنَّ كيدَهُنَّ عظيمٌ .

ولعلَّ هذا إنْ دلَّ على شىءٍ ، فإنما يدلُّ على سماحةِ الإسلامِ وسماحةِ الرسولِ ﷺ ، إذْ يعترفُ بالضعفِ البشرِىِّ ، ويحاولُ أنْ يعالجَهُ ويحوِّلَهُ إلى مواطنِ قوةٍ فى الإنسانِ ، وهذا ما حدثَ مع (عائشةَ) ، حيثُ أصبحتْ بمرورِ الوقتِ تحاولُ التخففَ

مِنْ غيرَتِها ، وتحوَّلتْ هذه الغيرةُ إلى حبٍ واحترامٍ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما أنها انشغلَتْ بما هو أهمُّ ، حيثُ حرصت على حفظِ أحاديث رسولِ اللَّهِ ﷺ ، لأنهُ كانَ يمكثُ عندها أكبرَ وقتٍ ، وكانَ الوحيُ يتنزلُ عليهِ وهو عندها .



ولذلكَ فقدْ أخذَ عنها العلماءُ أحاديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وصارتْ أهمَّ مرجعٍ يمكنُ الاعتمادُ عليهِ في هذا الجانبِ ، فقدْ روتْ عنها كتبُ الحديثِ الصحيحةُ أكثرَ من ألْفَيْ حديثٍ مختلفٍ .

وقالَ عنها (عطاءُ بنُ رَبَاحٍ) :

ـ كانتْ (عائشةُ) أفْقَهَ الناسِ ، وأعلَمَ الناسِ ، وأحسنَ الناسِ رأْيًا في العامَّةِ .

وعنْ (هشامِ بنِ عروةَ) عنْ أبيهِ قالَ :

ـ ما رأيتُ أحدًا أعلَمَ بفقهٍ ولا بطبٍ ولا بشعرٍ منْ (عائشةَ) .

وقالَ (الزهريُّ) :

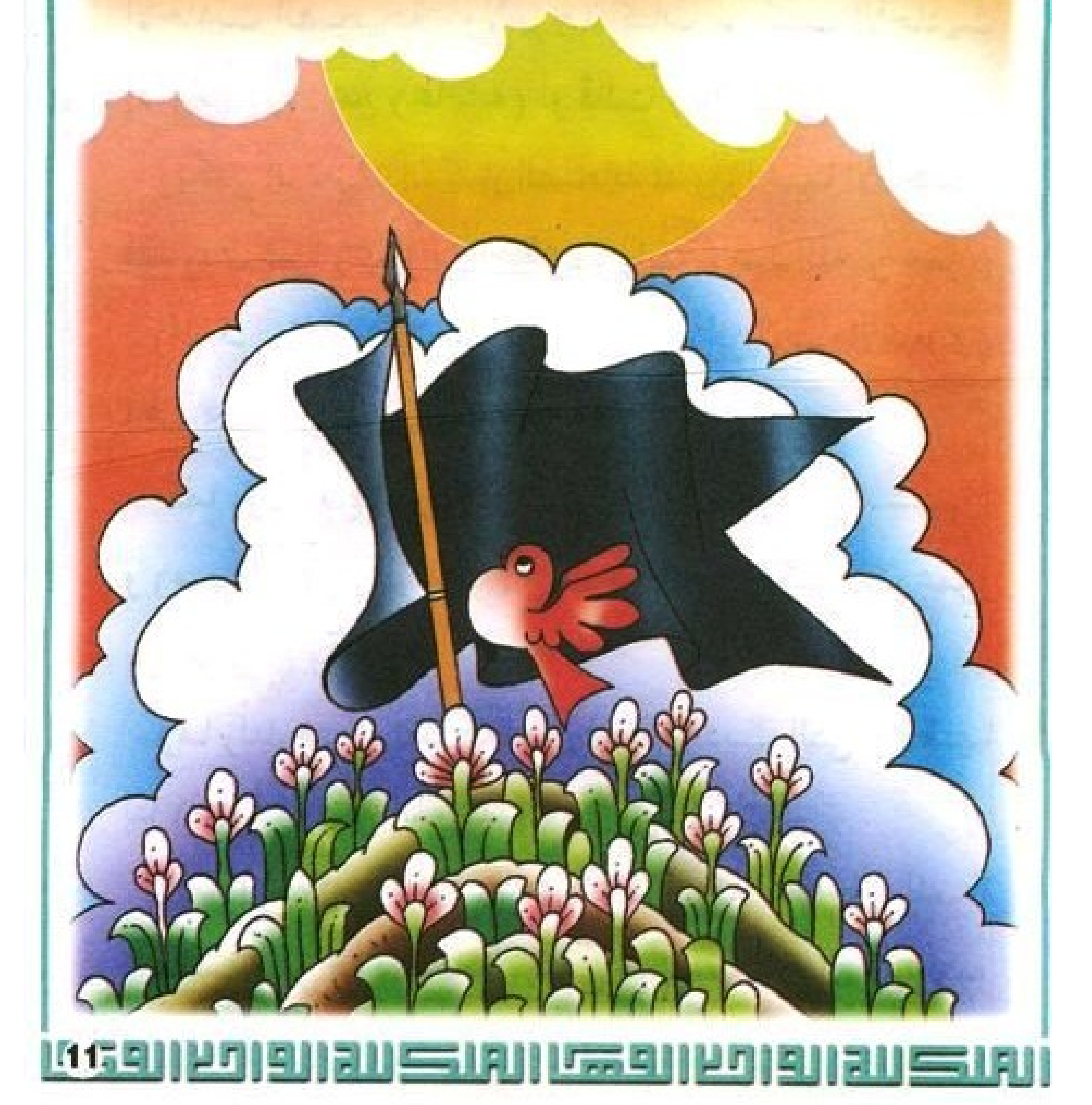
ـ لو جُمِعَ علمُ (عائشةَ) إلى علمِ جميعِ أمَّهاتِ المؤمنينَ وعلمِ جميعِ النساءِ ، لكانَ علمُ (عائشةَ) أفضلُ .

ولقدْ كانتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) تدركُ نعمَ اللَّهِ عليها ، فقدِ اختْصَّها بأشياءَ لمْ يختصَّ بها غيرَها منْ زوجاتِ النبيِّ ﷺ .

فقدْ قالتْ (رضيَ اللَّهُ عنها) :

ـ أُعطيتُ خلالاً ما أُعْطِيَتْهَا امرأةٌ : ملكني رسولُ اللَّهِ ﷺ

وعلَى آلهِ ، وأنا بنتُ سبْعٍ ، وأتاه الملَكُ بصورَتى فى كفِّهِ لينظُرَ إليها ، وبَنَى بى - أى تزوَّجنى - لتسعٍ ، ورأيتُ جبرائيلَ ، وكنتُ أحبَّ نسائهِ إليهِ ، ومرَّضْتُهُ فقبضَ ولمْ يشهَدْهُ غيرى والملائكةِ .



لقدْ غيَّرتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) نظرةَ الناسِ إلى المرأةِ ، فقدْ كانَ الناسُ يعتبرونَ المرأةَ أقلَّ منَ الرجُلِ ، وكانوا لا يعتدُّونَ برأيها ولا يقيمونَ له وزنًا ، أما (عائشةُ) فقدْ تتلمذَ على يديها مئاتُ الصحابةِ والتابعينَ ، ورووْا عنها الأحاديثَ الصحيحةَ ، ولا يوجدُ كتابٌ منْ كتبِ الأحاديثِ إلا ونجدُ فيه : عنْ (عائشةَ) أو قالت (عائشةُ) .

ويكفى أنْ نعرفَ أن كبارَ الصحابةِ قدْ رووْا عنها الأحاديثَ، فقدْ روى عنها (عمرُ بنُ الخطابِ) وابنُهُ (عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ) و (أبو هُريرةَ) و (عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ) و (أبو موسى الأشعرِىُّ) وغيرُهم .

كما روى عنها منْ كبارِ التابعينَ : (سعيدُ بنُ المسيِّبِ) و (مسْروقٌ) و (أبو وائلٍ) و (عبدُ الله بنُ حكيمٍ) و (عمرُو بنُ ميمونٍ) وآخرونَ .

وما زِلْنا حتى يومِنا هذا نروِى الأحاديثَ التى حفظتْهَا لنا (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ولعلَّ الإسلامَ بذلكَ قد سبقَ العالمَ أجمعَ ، إذْ جعلَ للمرأةِ المسلمةِ مثلَ هذه المكانةِ ، فهى معلمةٌ للرجالِ ، وراويةٌ



للأحاديثِ ، وفقيهةٌ تفتى فى أدقِّ المسائلِ ، ولا يملكُ الرجالُ إلا أنْ يتلقَّوْا ذلكَ بإعجابٍ وتقديرٍ ، ويُشيدوا بصاحبتِهِ (رضىَ اللهُ عنها) .

فقدْ قالَ الصحابةُ (رضوانُ اللهِ عليهمْ) :

ـ ما أشكلَ علينا أمرٌ ، فسألْنَا عنهُ (عائشةَ) إلاَّ وجدنَا

عندَها فيه علْمًا ، وكانتْ تحفظُ أشعارَ العربِ ، حتى إنها ما كانَ ينزلُ بها شيءٌ إلا أنشدَتْ فيه شعرًا .

ولئنْ كانتْ (عائشةُ) مضربَ المثلِ فى العلْمِ والحفْظِ ، فقدْ كانتْ مثالاً نادرًا فى الجودِ والكرمِ ، حتى إنها كانتْ تنفقُ كلَّ ما يأتيها فى سبيلِ اللَّهِ ، وربَما لا تتركُ لنفسِها ما تشترى به الطعامَ .

فقدْ جاءَها ذاتَ يومٍ مائةُ ألفِ درهمٍ ففرَّقتْها على الفقراءِ وهى يومئذٍ صائمةٌ ولمْ تتركْ لنفسِها شيئًا ، فقالتْ لها خادمتُها :

ـ أما تركْتِ درهمًا تشترين به لحمًا تفطرينَ عليه ؟

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ لو كنتِ أذكرتِنى لفعلتُ .

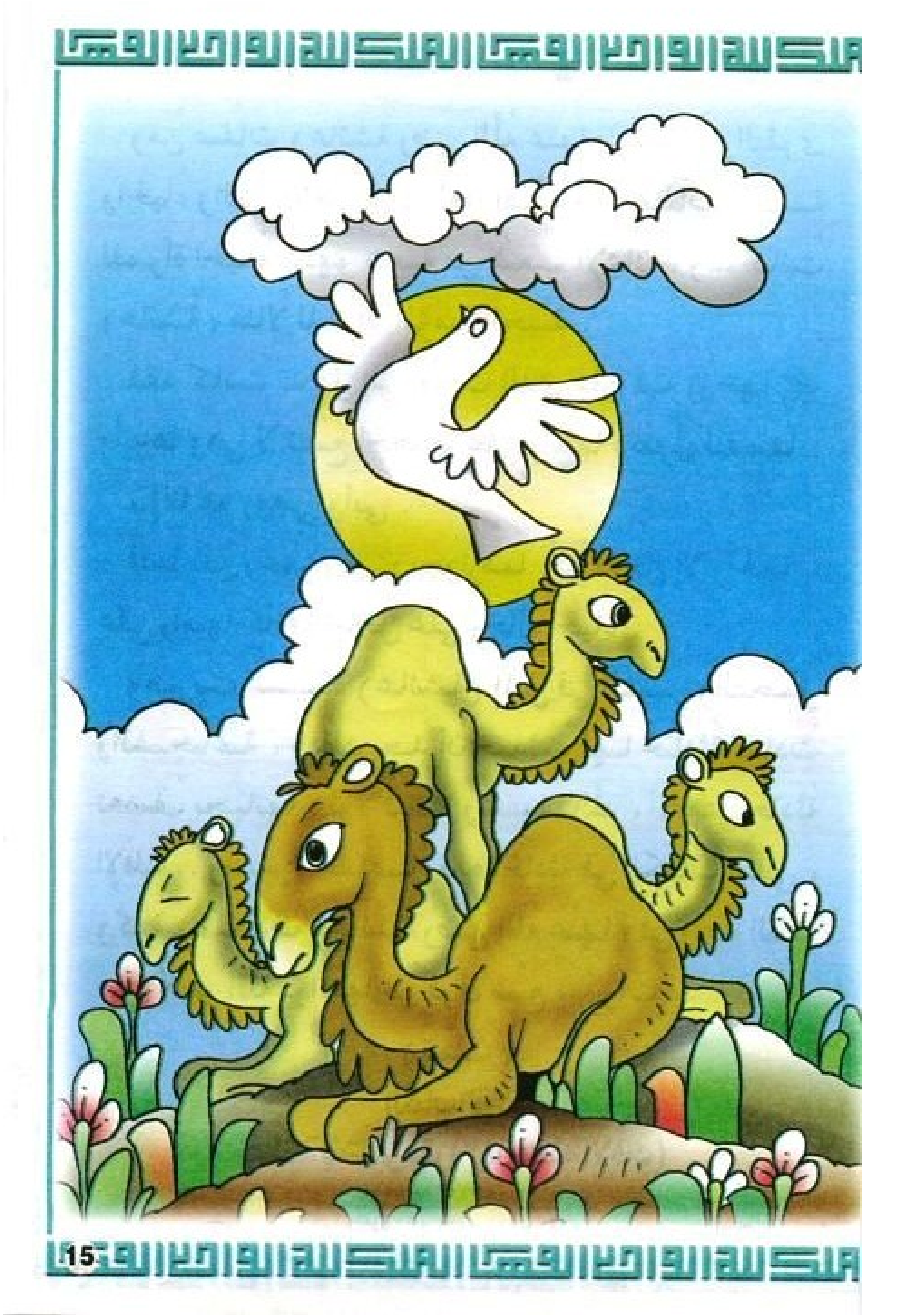
ودخلَ عليها أحدُ المسلمينَ ، وقالَ لها :

ـ يا أمَّ المؤمنينَ أصابتْنى فاقةٌ .

فقالتْ :

ـ ما عندى شىءٌ ، فلوْ كانَ عندى عشرةُ آلافِ درهمٍ لبعثتُ بها إليكَ .

فلما خرجَ الرجلُ منْ عندها ، جاءتْها عشرةُ آلافِ درهمٍ منْ عندِ (خالدِ بنِ أُسَيْد) ، فأرسلت بها إليه .



ومنْ صفاتِ (عائشةَ رضىَ اللَّهُ عنها) : الورعُ والتقوى والحياءُ والبرُّ بالآخَرينَ ، ولعلَّ أهمَّ هذه الصفات بالنسبة للمرأة الحياءُ ، فهو شُعْبَةٌ من شُعَبِ الإيمانِ ، وقدْ كانتْ (عائشةُ) مثالاً للمرأة المؤمنة الْحَيِيَّة .

فقدْ كانتْ تدخلُ إلى البيتَ الذى دفنَ فيه زوجها ﷺ وأبوها وهى لا تضعُ الحجابَ على رأسِها وتقولُ لنفسِها :

ـ إنما هو زوجى وأبى .

فلما دُفنَ (عمرُ) رضي الله عنه بجوارهما ، لمْ تدخلْ إلا والحجابُ على رأسِها كأنَّها تدخلُ على رجالٍ أحْياءَ .

وضربتِ السيدةُ (عائشةُ) المثلَ فى الصَّبرِ والتحمُّلِ والشجاعة ، وذلك بعدَ أنْ حدثتْ لها حادثةٌ كادتْ تعصفُ بحياتِها ، لولا ثباتُها وثقتُها باللَّه ، ألا وهى حادثةُ الإفْكِ .. وسنعْرِفُ تفاصيلَ هذه الحادثة فى الكتاب التالى ، وكيفَ صمدتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عَنْها) فى وجهِ الظلمِ حتى أظهرَ اللَّهُ براءتَها من فوقِ سبْعِ سموات ..

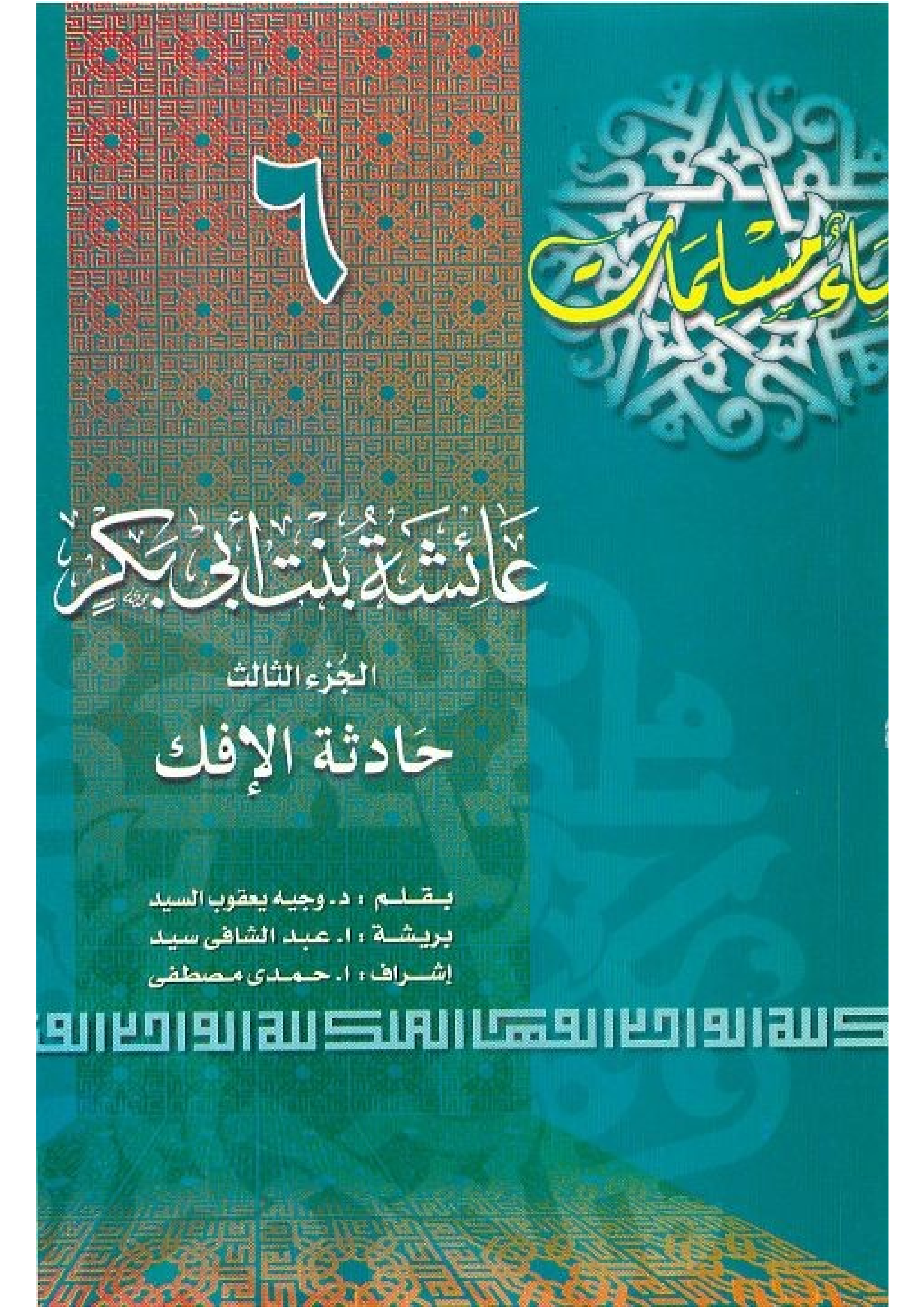
(تمَّتْ)

الكتاب القادم

عائشة بنت أبى بكر (٣) (حادثة الإفك)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٣١٩٧

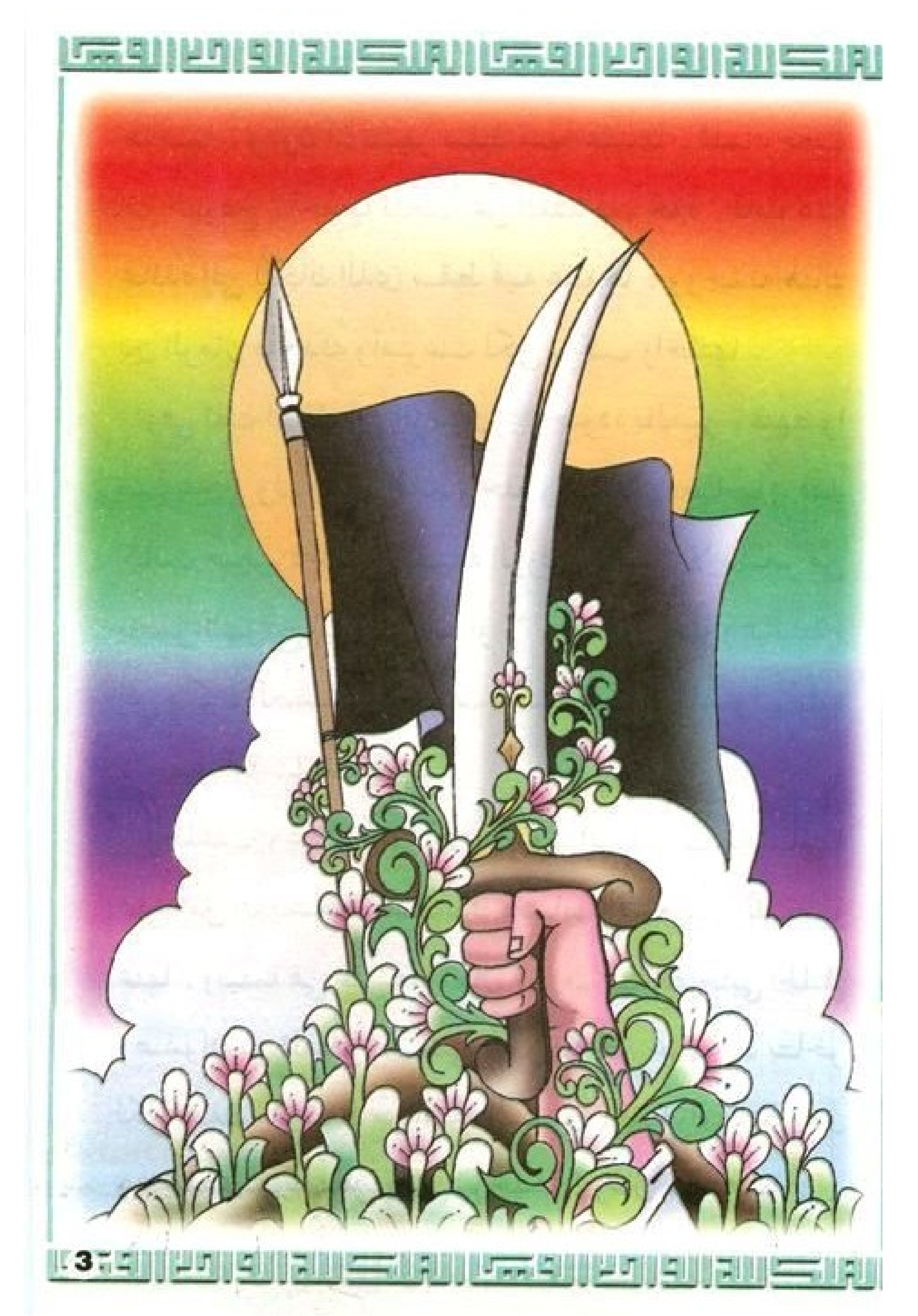
الترقيم الدولى : ٣ ـ ٥٧٤ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧


مسلمات
٦
عائشة بنت أبي بكر
الجزء الثالث
حادثة الإفك
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

عاشتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) أسْعَدَ أيامِها بجوارِ زوجِها ﷺ ، الذى منحهَا الحبَّ والأمانَ ، وكانتْ هى بالنسبةِ لهُ الزوجةَ والحبيبةَ التى تخففُ عنهُ كلَّ همومهِ وتزيلُ آلامهُ ، ولكنَّ هذا الهدوءَ تحوّلَ فجأةً إلى عاصفةٍ كادتْ أنْ تدمّرَ كلَّ شىءٍ : البراءةَ والحبَّ والذكرياتِ ، لكنَّ اللَّهَ (تعالَى) تداركَ رسولَهُ ﷺ فى الوقتِ المناسبِ ، وأنزلَ الوحْىَ ليردَّ لـ (عائشةَ) الطَّاهرةِ اعْتبارَها ويبرئَ ساحتَها من التهمَةِ البشعةِ التى حاولَ المنافقونَ والمشركونَ أنْ يلْصقوها بها ظلماً وعدْواناً .

ففى العامِ السادسِ للهجرةِ ، خرجتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) مع الرسُولِ ﷺ فى غزوةِ بنى المصْطَلَقِ ، وانتصرَ الرسولُ ﷺ نصراً مؤزَّراً على اليهودِ ، وسارَ بجنودهِ عائداً إلى المدينةِ المنورةِ فى وقتٍ متأخرٍ من الليلِ ، فأمرَ جنودَهُ أنْ يسْتريحوا بعضَ الوقتِ ، قبلَ أنْ يُواصلوا السيرَ مرةً أخرَى .

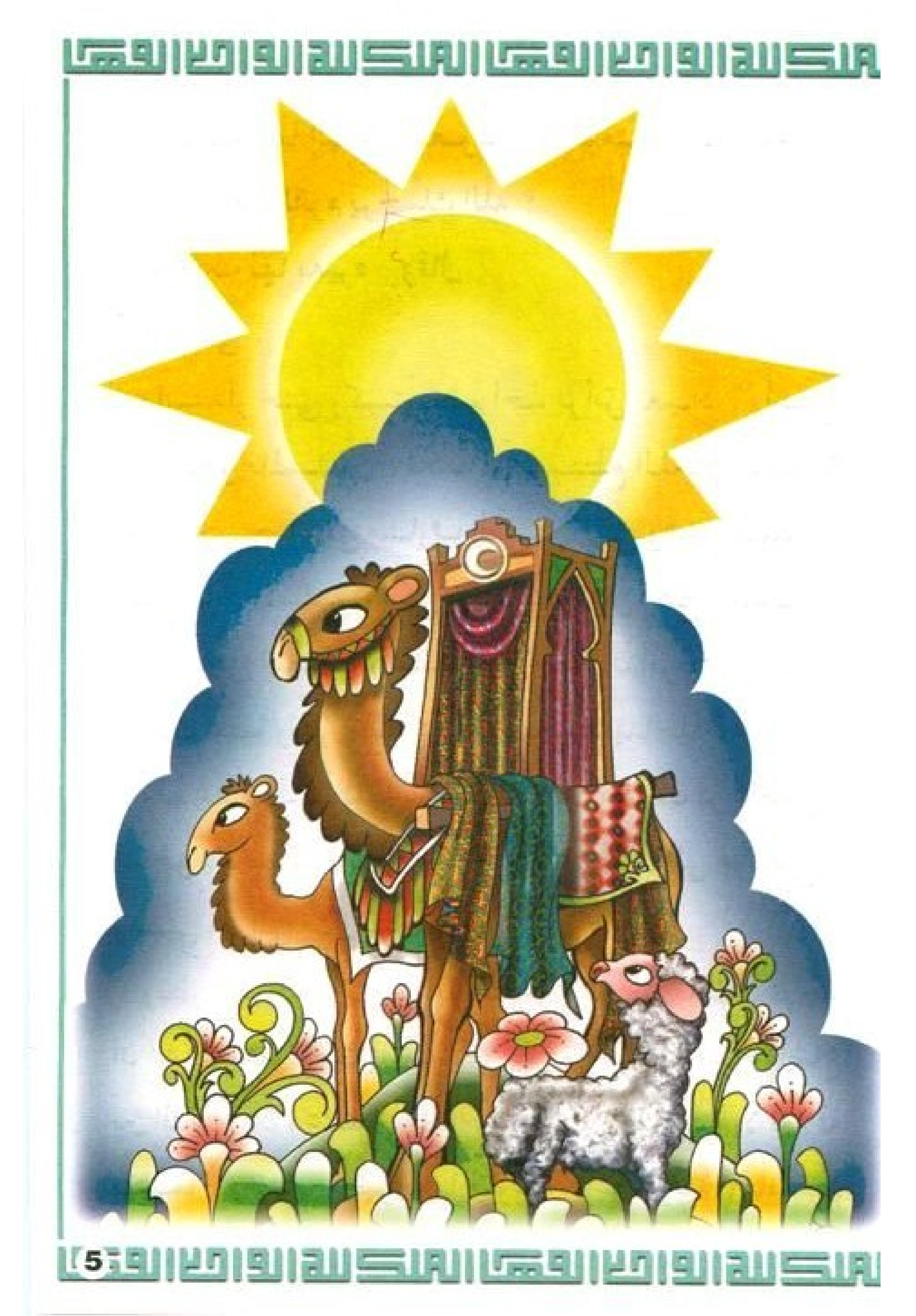
ونزلتْ (عائشةُ) من هودَجِها ومضتْ لقضاءِ بعضِ



حاجَتَها ، ودونَ أنْ تشعرَ سقطَ منها عقدُها ، فلمَّا رجعتْ إلى الهودجِ ، أخذتْ تبحثُ عنِ العقد فلمْ تجدهُ ، فأسرعتْ عائدةً إلى المكان الذى سقطَ فيه عقدُها ، ووجدتهُ هناكَ بينَ الرمالِ فأخذتهُ وأسرعتْ لكى تركبَ راحلتَها .

وفى تلكَ الأثناء أمرَ الرسولُ ﷺ جنوده بالسيرِ ، فنهضُوا مُسرعينَ ، ولم يشعرْ قائدُ راحلة (عائشة) بغيابِها ، فقدْ كانتْ صغيرةَ السنِّ خفيفةَ الوزنِ ، بحيثُ لا يشعرُ من يحملُ الهودجَ إنْ كانتْ به أوْ لا ، فلما رجعتْ (عائشةُ) إلى مكانِ العسكرِ وجدتْ الجنودَ قدِ انطلقُوا ، وأنهُ لا سبيلَ أمامَها للَّحاق بهمْ .

وجلستْ (عائشةُ) مكانَها بعدَ أنْ تلففتْ بجلبابِها على أملِ أنْ يشعرَ المسلمونَ بغيابِها فيعودُوا للبحثِ عنها ، وبينما هى على هذا الحالِ ، إذْ مرَّ بها الصحابىُّ الجليلُ (صفوانُ بنُ المعطلِ السلمى) ، وكانَ من عادته أنْ يتأخرَ لكىْ يلتقطَ ما يسقُطُ من أَمتعة المسلمينَ ، فلما رأى أمَّ المؤمنينَ (عائشةَ) تعجبَ منْ بقائها وحدَها ، وقالَ فى دهشة :



ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ، أمُّ المؤمنين (عائشةُ) ؟ ما أخرَكِ عن القومِ يرحمُكِ اللهُ ؟

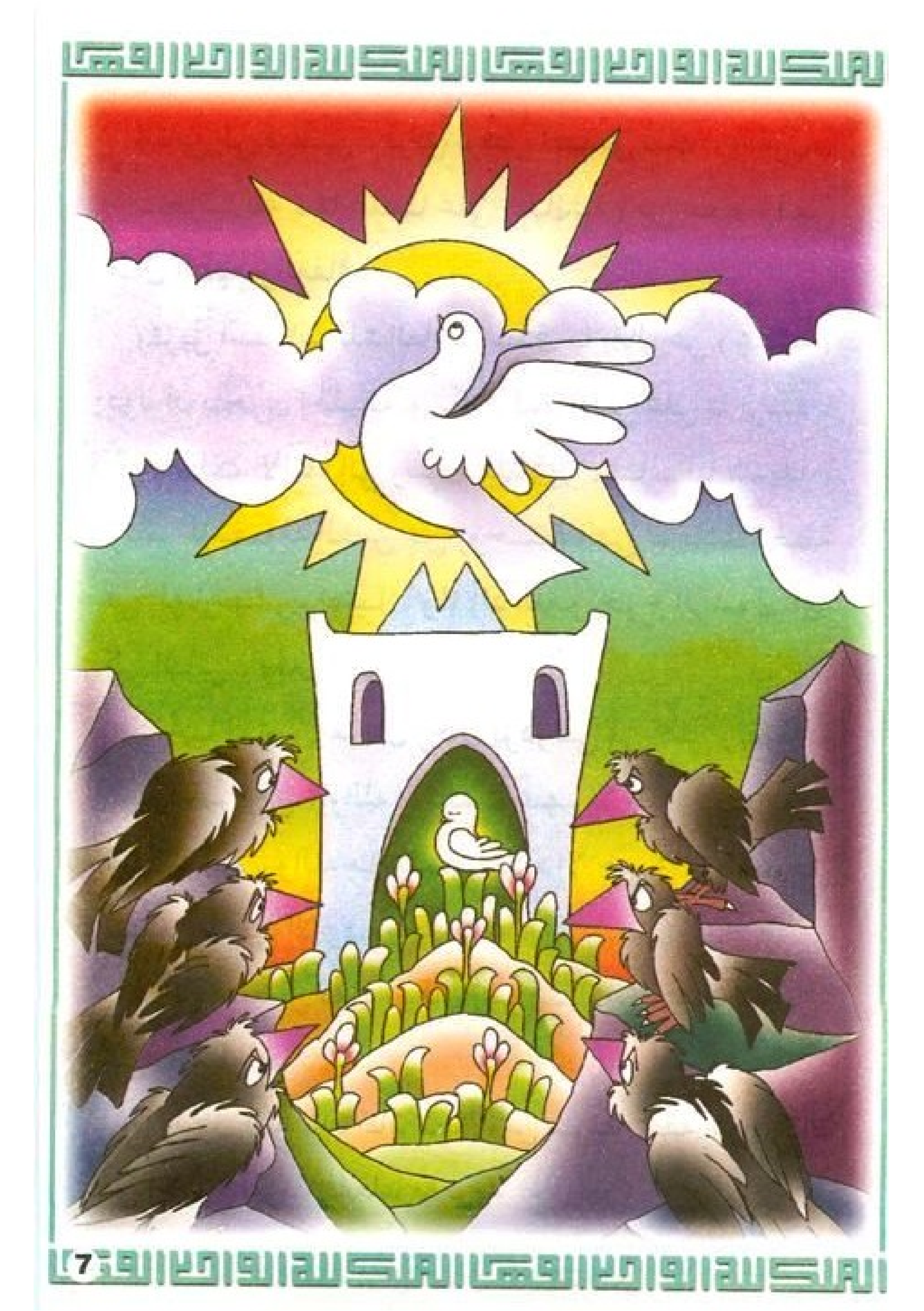
ثم قرَّبَ لها بعيرَهُ ، وقال :

ـ اركبي .

واستدار حتى ركبتْ ، ثمَّ أخذَ برأسِ بعيرِهِ ، وأسرعَ كيْ يلحَقَ بالمسلمينَ ، لكنهُ لم يستطعِ اللَّحاقَ بهم إلا بعدَ أنْ أصبحوا على مشارفِ الوُصُولِ ، في وقتِ الظهيرةِ ، حيثُ نزلَ المسلمونَ لكي يستريحوا منْ وهجِ الشمسِ ، ولمْ يشعرُوا بغيابِ (عائشةَ) إلا بعدَ أنْ أنزلوا الهودجَ ، وبحثَ عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ فلم يجدْها بداخله .

ولمْ يمضِ وقتٌ طويلٌ ، حتى كانَ (صفوانُ بنُ المعطلِ) قد لحقَ بالعسكرِ فأنزلَ أمَ المؤمنينَ (عائشةَ) إلى هودجها ، ومضى هو إلى حالِ سبيله .

ونظرَ (عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيِّ بنُ سلولٍ) إلى ما حدثَ ، فوجدَ أنَّ الفرصةَ قدْ لاحتْ أمامهُ لكي يستغلَّ هذا الموقفَ ، فأشاعَ بينَ الناسِ ، أنَّ (عائشةَ) ما تأخرتْ هي و (صفوانُ) إلا لعلاقةٍ بينهما ، وانتشرَ الخبرُ بينَ الجنودِ بسرعةٍ غريبةٍ ، فانقسم



النَّاسُ إلى فريقيْنِ ، فريقٍ يرفضُ تصديقَ ذلكَ ، ويقولُ :

ـ حاشا للَّه ، ما علمنَا على (عائشةَ) من سوءٍ ، فهى مثالُ الطُّهْرِ والعفاف .

وفريقٍ استجابَ للشائعاتِ وصدَّقَ ما يقالُ عنْ (عائشةَ) دونَ أنْ يتحرَّى الحقيقةَ أوْ يكونَ لديه دليلٌ على ما يردِّدُهُ .

ووصلتِ الأنباءُ إلى رسولِ اللَّه ﷺ ، فتألَّمَ ألمًا شديدًا ، وتأثَّرَ لما يقولُهُ النَّاسُ عنْ زوجتِهِ التى لمْ يشكَّ لحظةً فى طهارتِها وبراءتِها ، ولما زادَ اللَّغْوُ خرجَ الرسولُ ﷺ إلى النَّاسِ ، وقالَ لهمْ :

ـ يأيها النَّاسُ ، ما بالُ رجالٍ يؤذونني فى أهلى ويقولونَ عليهم غيرَ الحقِّ ؟ واللَّه ما علمتُ عنهمْ إلاَّ خيرًا ، ويقولونَ ذلكَ لرجلٍ ، واللَّه ما علمتُ عليهِ إلا خيرًا ، وما يدخلُ بيتًا من بيوتى إلا وهو معى !

فقامَ (سعدُ بنُ معاذٍ) وقالَ وهو يشيرُ إلى (عبدِ اللهِ بنِ أبىِّ بنِ سلُولٍ) :

يا رسولَ اللَّهِ ، إنْ كانَ من الأوسِ ضربْنَا عنقَهُ ، وإنْ كانَ من الخزرجِ أمرتنَا ففعلنَا ما تريدُ .

وعلَتِ الأصواتُ واختلفَ الناسُ حتى نزل الرسولُ ﷺ من مكانه وأسكتهم وخلا ببعضِ أصحابه ليستشيرهم ، وبدأ الرسولُ ﷺ باستشارة (أُسامةَ بنِ زيد) ، فقالَ (أسامةُ) :

ـ يا رسولَ اللّه ، أهلُكَ ، ولا نعلمُ منهم إلا خيراً ، وهذا الكذبُ والباطلُ . أمَّا (عليُّ بنُ أَبي طالب) ، فقد أشفقَ على النبيِّ ﷺ ، وأحزنه أنْ يراهُ متأثراً إلى هذه الدرجة فقالَ تطييباً له :

ـ يا رسولَ اللّه ، إِن النساءَ غيرَها كثيرٌ ، وإن شئتَ أنْ تتأكَّدَ من ذلك فاسألْ جاريتها فإنها ستصْدُقُك .

وجاءتْ جاريةُ (عائشةَ رضي اللّهُ عنها) ، وقالتْ :

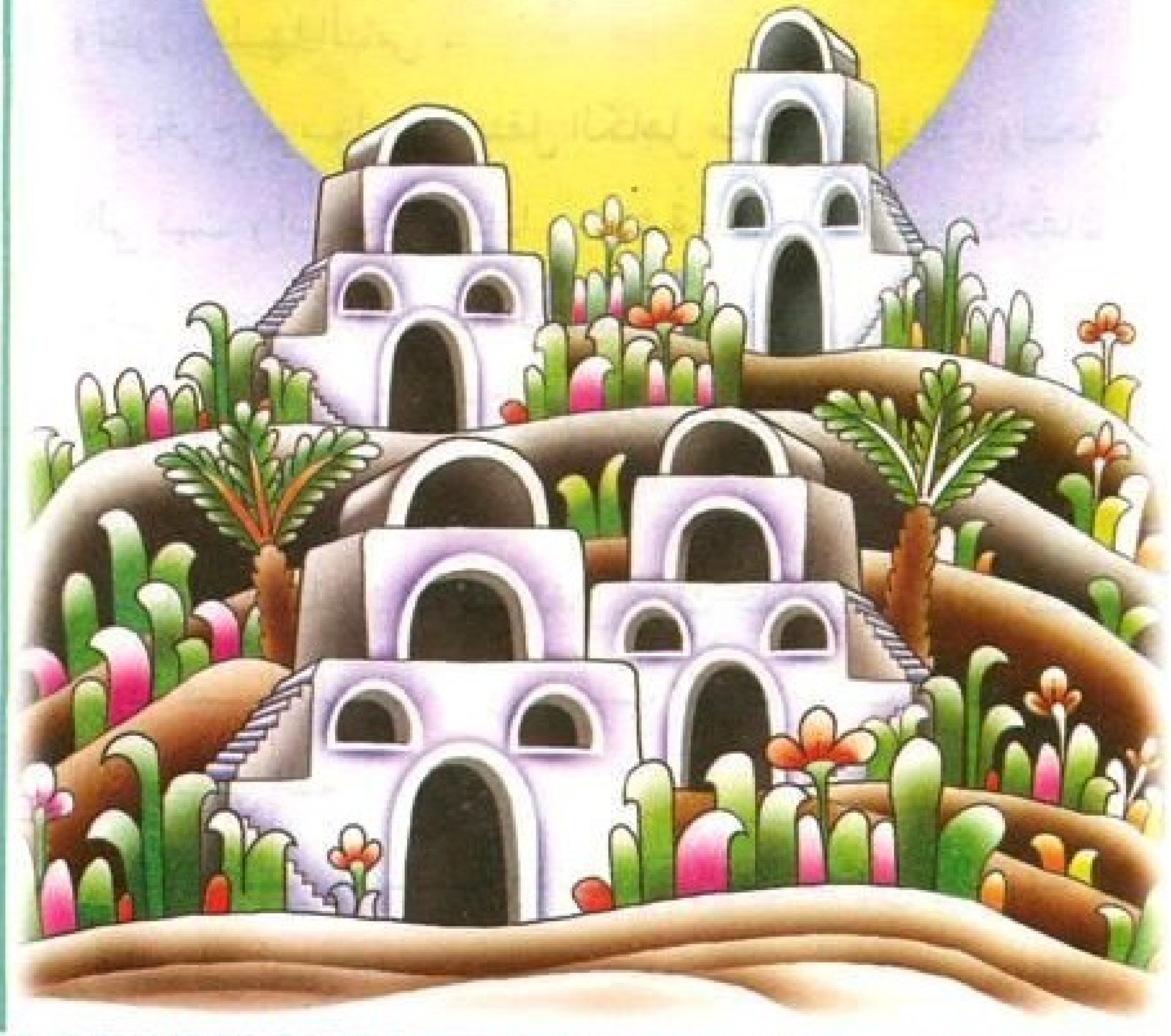
ـ واللّه ما أعلمُ على (عائشةَ) إلا خيراً .

وبرغْمِ ثقة الرسول ﷺ في زوجته ، إلا أنهُ تأثَّرَ بما سمع ، ولم يستطعْ أن يخفيَ تأثُّرَهُ ، فقدْ ظهرَ ذلكَ في معاملته لزوجته ، فقدْ كانَ الرسولُ ﷺ بمجرد دخوله بيت (عائشةَ) يشيعُ جوا من البهجة والسعادة ، ويستجيبُ لمرحِ زوجته الحسناء ومداعبتها في وُدٍّ ومحبة ، أما الآنَ فها هو ذا يدخلُ عليها وهي مريضةٌ ، وكانتْ لا تعلمُ بما

يدورُ حَوْلَها ، فلمْ يخبرْها أحدٌ بذلكَ ، ويسلِّم عليها ويكتفى بسؤالهِ عن أحوالِها .

وأحستْ (عائشةُ) بشيءٍ من الفتورِ فى علاقةِ زوجِها بها ، فطلبتْ أن تذهبَ إلى بيتِ أبيها فأذنَ لها الرسولُ ﷺ بذلكَ .

وفى بيتها سمعتْ (عائشةُ) ما يشاعُ عنها لأولِ مرةٍ ، فلمْ تتمالكْ نفسَها من البكاءِ ، وفى هذه اللحظةِ عرفتْ



سرَّ الجفْوةِ من رسولِ اللّهِ ، وراحت تقولُ لأمِّها وهي تبكي :

ـ يغفرُ اللّهُ لك ، تحدَّثَ الناسُ بما تحدّثوا به ، ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا .

فضمتها أمها إلى صدرها وهي تقولُ :

ـ أي بنيةُ ، هوني على نفسك ، فوالله لقلما كانت امرأةٌ حسناءُ عند رجلٍ يحبها ، ولها ضرائرُ ، إلاَّ وتقوَّلوا عليها وتقوَّل عليها الناسُ .

ويخرجُ الرسولُ ﷺ مثقلَ الكاهلِ محزونَ الفؤادِ ، ويتجهُ إلى بيتِ (أبي بكرٍ) فإذا (عائشةُ) هناكَ مقرَّحةَ الأجفانِ تبكي ، حتى كادَ البكاءُ يقتلُها .

والتفتَ الرسولُ ﷺ إلى (عائشةَ) فتأثَّرَ لبكائها ، وقالَ في حزنٍ :

ـ يا (عائشةُ) ، إنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإنْ كنت بريئةً فسيبرِّئُكِ اللّهُ ، وإنْ كنت ألممت بذنبٍ فاستغفري اللّهَ وتوبي إليه .

ولم تحتملْ (عائشةُ) ذلكَ ، فالتفتتْ إلى والديْها ، وقالتْ في أسى :

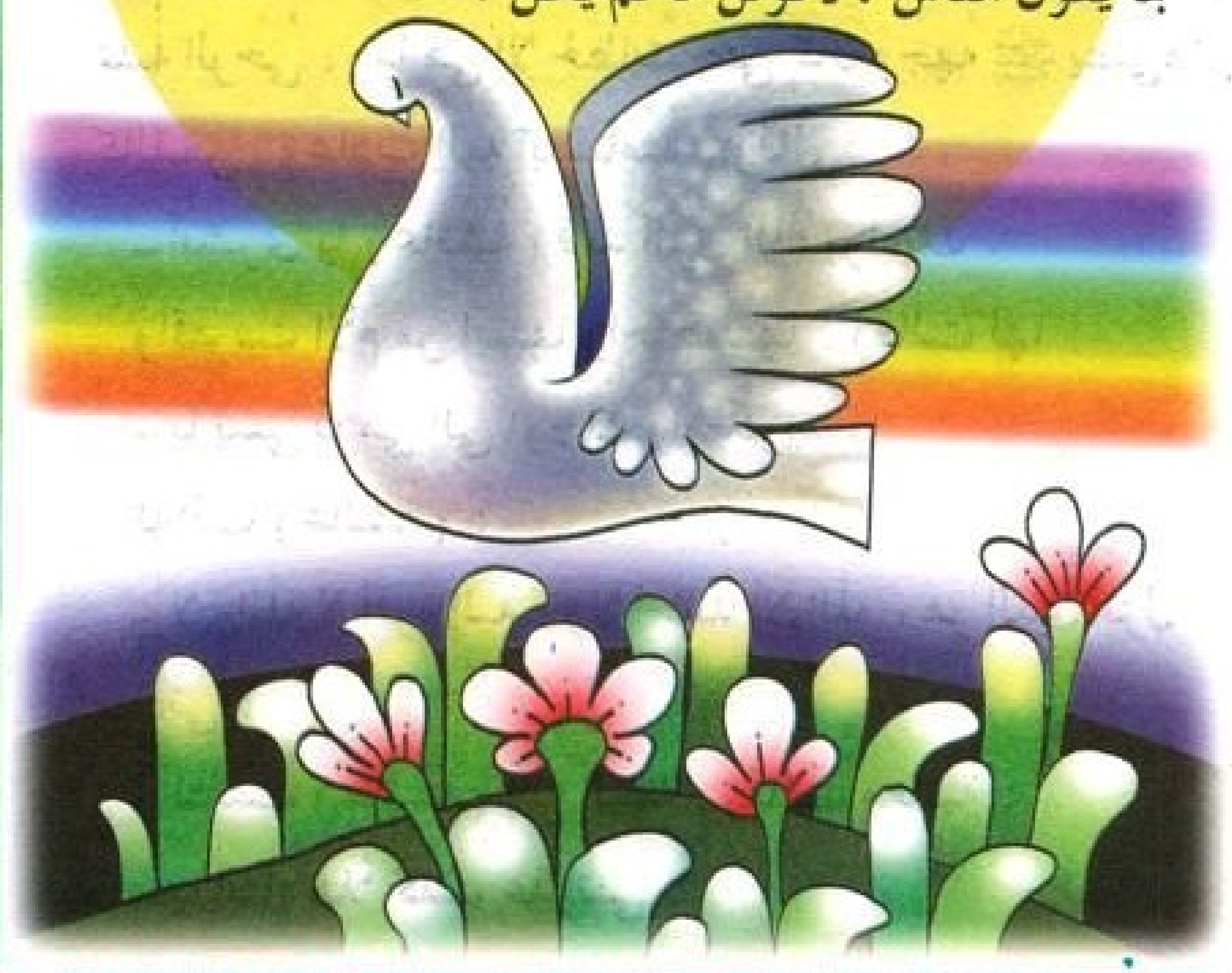
- ألا تجيبان رسولَ اللَّه ؟

فقالاَ والحزنُ يعتصرهُمَا :

- واللَّه ما ندرى بِمَ نُجيبُ !

وأخذت الدموعُ تنهمرُ على خديْهَا ، وقالتْ فى إصرارٍ :

- واللَّه ، لقد عرفتُ أنكم قدْ سمعتمْ بهذَا حتى استقرَّ فى نفوسكُمْ وصدقتُمْ به ، فإنْ قلتُ لكمْ إنى بريئةٌ - واللَّهُ يعلمُ أنى بريئةٌ - لا تصدقونِى فى ذلكَ ، ولئنْ أنا أقررتُ بما يقولُ الناسُ ، لأقولنَّ ما لمْ يكنْ .



وحاولتْ (عائشةُ) أنْ تعزّى نفسَها ، فتذكرتْ (يعقوبَ عليه السلامُ) وما أصابهُ من الحزنِ واعتصرَ قلبُهُ من الألمِ حتى ابيضَّتْ عيناهُ من الحزنِ ، وقالتْ وهى تبكى :

ـ إنى واللَّهِ ما أجدُ لى ولكمْ مثلاً إلا كما قالَ أبو يوسفَ :

﴿ فصبرٌ جميلٌ واللَّهُ المستعانُ على ما تصفونَ ﴾ .

ثم أسرعتْ إلى حُجرتها وجلستْ على أريكتِها وهى تبكى بحرقةٍ ومرارةٍ .

وقبلَ أنْ يخرجَ الرسولُ ﷺ من بيت (أبى بكرٍ) نزلَ عليهِ الوحىُ ، وما هى إلا لحظاتٌ حتى كانَ وجْهُهُ ﷺ يضىءُ كالقمرِ ، وعادتْ إليه ابتسامتُهُ ، وقالَ :

ـ أبْشرِى يا (عائشةُ) فقدْ أنزلَ اللَّهُ براءتك .

واقتربتِ الأمُّ من ابنتِها واحتضنتْها ، وقالتْ لها :

ـ يا بنتى قومى إلى زوجكِ واشكُريه .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ لا واللَّهِ لا أقومُ إليه ، ولا أحمدُ إلا اللَّهَ ، هو الذى أنزلَ براءتى .

والتفتتْ (عائشةُ) إلى أبيها ، وقالتْ معاتبةً :

ـ يا أبتاهُ هلاَّ كنتَ عذَرْتنى ؟

فقالَ :

ـ أيُّ سماءٍ تُظِلُّنى ، وأىُّ أرضٍ تقلُّنى إنْ قلتُ بما لا أعلمُ ؟

أمَّا النبىُّ ﷺ فقدْ أحزنَه وآلمَهُ ما عانتْهُ زوجتُهُ وما كابدَتْهُ طوالَ هذه الفترة ، وخرجَ إلى المسجد ، وتلاَ على الناسِ قولَهُ (تعالى) :

﴿ إنَّ الَّذين جاءُوا بالإفْكِ عصبةٌ منكُمْ لا تحسبُوهُ شرًا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خيرٌ لَّكُمْ لكلِّ امرِئٍ منهُمْ مَا اكْتسبَ من الإثْمِ والَّذى تولَّى كِبْرَهُ منهُم لهُ عذابٌ عظيمٌ * لَوْلاَ إذْ سمعتمُوهُ ظَنَّ الْمُؤمنُونَ والْمُؤمناتُ بأنْفُسهِمْ خيْرًا وقَالُوا هذَا إفْكٌ مبينٌ * لَوْلاَ جاءُوا عليْهِ بأرْبعَةِ شُهداءَ فإذْ لمْ يأتُوا بالشُّهداءِ فأولئكَ عنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكاذبُونَ * ولَوْلاَ فضْلُ اللَّهِ عليْكُمْ ورحْمتُهُ فى الدُّنْيا والآخرةِ لمسَّكُمْ فيمَا أفضْتُمْ فيهِ عذابٌ عظيمٌ ﴾ .

(النور: ١١ ـ ١٤)



لقدْ برأَ اللَّهُ ساحةَ (عائشةَ) الطاهرةَ من فوقِ سبعِ سمواتٍ ، وكانَ لابُدَّ من هذهِ المحنةِ الصعبةِ لكيْ يتعلمَ المسلمونَ فى كلِّ مكانٍ وزمانٍ أنْ يواجهوا الشائعاتِ وألاَّ يخوضُوا فيها بلا علمٍ أوْ دليلٍ ، وإلا أهلكُوا أنفسهمْ بأيديهمْ .

ولعلَّ فى هذهِ القصةِ ما يؤكدُ بشريةَ الرسولِ ﷺ ، فهوَ لا يعلمُ الغيبَ ، وقدْ تأثرَ بما سمعَ ، واضطربَ كما يضطربُ الناسُ ، وتشككَ كما تشككوا ، لكنهُ فى نهايةِ الأمرِ رسولٌ يتلقَّى منَ اللَّهِ الوحيَ والرسالةَ لكيْ يصححَ لهُ الخطأَ ، ويعصمهُ منَ الزللِ ، ويوضحَ ذلكَ للناسِ كافةً .

وبقىَ المسلمونَ فى كلِّ مكانٍ يتلونَ هذهِ الآياتِ التى تظهرُ براءةَ (عائشةَ رضىَ اللَّهُ عنها) ممَّا نُسبَ إليها ، وترسمُ لهمُ المنهجَ الصحيحَ فى مواجهةِ الشائعاتِ ، فهلْ تعلموا الدرسَ ؟

(تمَّتْ)

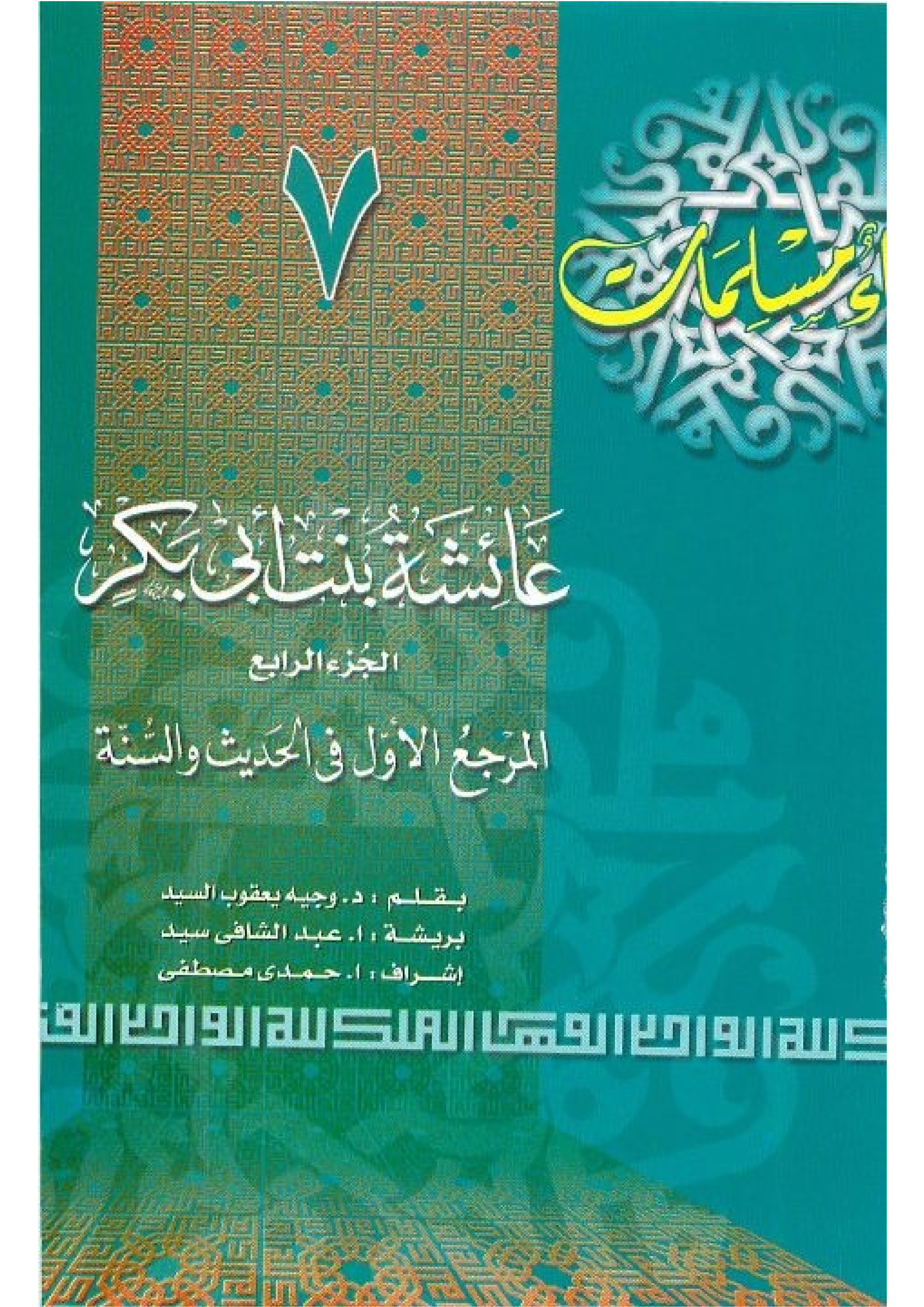
الكتاب القادم

عائشة بنت أبى بكر (٤)

(المرجع الأول فى الحديث والسنة)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٣٦٤٣

الترقيم الدولى : ٥ _ ٤٧٥ _ ٢٦٦ _ ٩٧٧



أمهات المسلمين
٧
عائشة بنت أبى بكر
الجزء الرابع
المرجع الأول فى الحديث والسنة
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

بعدَ أنْ أنزلَ اللّهُ براءةَ (عائشةَ رضى اللّهُ عنها) ، عادتْ إلى بيتِ الرسولِ ﷺ ، لتُشيعَ فيه البهجةَ والسرورَ ، بما كانتْ تملكهُ من روحٍ جميلةٍ ودعابةٍ بريئةٍ ، عادتْ لتملأَ حياةَ الرسولِ ﷺ بالحبِّ والمودَّة ، وكانَ الرسولُ ﷺ يقولُ لها :

ـ حبكِ يا (عائشةُ) فى قلبى كالعروةِ الوُثْقَى .

وكانتْ (عائشةُ) يُسعدها ذلكَ ، وتباهى به زوجاتِ النبى ﷺ وتقولُ :

ـ أيةُ امرأةٍ كانتْ أحظَى عندَ زوجٍ منى !

ولمْ يكنْ حبُّ الرسولِ ﷺ لـ (عائشةَ) يخفَى على أحدٍ ، فقدْ سألهُ (عمرو بنُ العاصِ) مرةً :

ـ يا رسولَ اللّه ، مَن أحبُّ الناسِ إليك ؟

فقالَ ﷺ :

ـ (عائشةُ) .

فقال (عمرُو بنُ العاصِ) :

ـ منَ الرجالِ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ أبوهَا .

وكانَ الرسولُ ﷺ يحرصُ على إرضائها وإدخالِ السرورِ إلى قلبِها ، وعندما كانتْ (عائشةُ) تغضبُ منهُ ﷺ ، كان يعرفُ ذلكَ من حديثها ، فيسارعُ إلى إرضائها .

فذاتَ يومٍ قالَ لها ﷺ :

ـ إني لأعْلمُ متى كنتِ عني راضيةً وإذا كنتِ على غضْبى .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ ومِنْ أينَ تعرفُ ذلكَ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ أمَّا إذا كنتِ راضيةً فإنكِ تقولينَ : لا ، وربِّ (محمدٍ) ، وإذا كنتِ غضبى قلتِ : لا ، وربِّ (إبراهيمَ) .

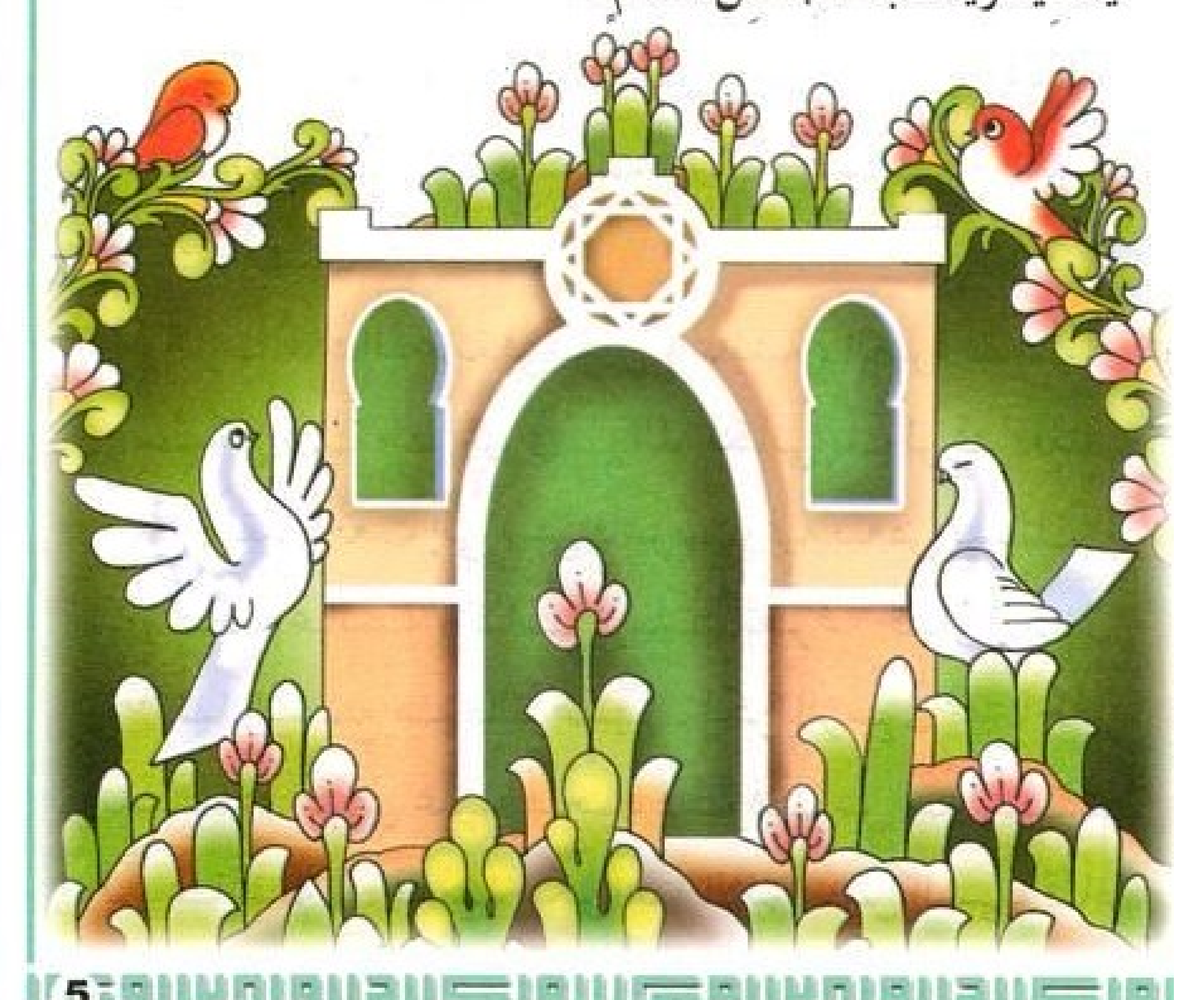
فقالتْ (عائشةُ) :

ـ أجلْ واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، ولكنْ ما أهجرُ إلا اسمكَ .

وظلتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) تقومُ بواجبها نحوَ

زوجِها ﷺ فتأسُو جراحَهُ وتداوِى آلامَهُ ، وتقفُ خلفَهُ فى مراحلِ الدعوة إلى اللَّه ، فتشيرُ عليه بالرأىِ ، وتحفظُ عنهُ ما يقولُ وما يفعلُ حتى تبلّغَهُ إلى المسلمينَ فيعملُوا به .

ولما شاءتْ إرادةُ اللَّه أنْ يقبضَ إليه حبيبَهُ المصطفى ﷺ ، بعدَ أنْ أدّى الأمانةَ وبلّغ الرسالةَ ونصحَ الأمةَ ، كانتْ (عائشةُ) بجوارِه تداوِيه وتخففُ عنهُ ، وتدعو اللَّهَ أنْ يشْفيَهُ ويُذهبَ ما به من سقامٍ .



فقدْ مرَّ الرسولُ ﷺ بـ (عائشة) ، فوجدها تشكُو ألـمًا في رأسها وتقولُ :

ـ وا رأساه .

فقال لها ﷺ :

ـ بلْ أنا واللَّه يا (عائشةُ) وا رأساه .

لكنَّ ألمَ الرسول ﷺ لم يكنْ قد اشتدَّ إلى الحدِّ الذى يُلزمُه الفراشَ ، أو يمنعُهُ من مداعبةِ أهله والتلطُّف معهمْ ، فلما كرّرتْ (عائشةُ) الشكوى من رأسها ، قالَ يداعبُها : وما ضرَّكِ لوْ متِّ قبلى ، فقمتُ عليكِ وكفنتكِ ، وصليتُ عليكِ ودفنتكِ ؟

وأثارتْ هذه الدعابةُ فى نفسِ (عائشةَ) الغيرةَ فقالتْ :

ـ ليكنْ ذلكَ حظَّ غيرى ، واللَّه لكأنِّى بكَ لوْ قدْ فعلتَ ذلكَ ، لقدْ رجعتَ إلى بيتى فأعرستَ فيه ببعضِ نسائكَ .

وكأنَّ (عائشةَ) كانتْ تريدُ أنْ تعرفَ حبَّ الرسولِ ﷺ لها وتسمعَ منه ما يرضيها ، لكنَّ الرسولَ ﷺ أحسَّ باشتداد المرض عليه فجأةً فتوقفَ عنْ مداعبته لـ (عائشةَ) ، فلما سكنَ عنهُ الألمُ بعضَ الشىء قامَ

يطوفُ بأزواجه كما عودهُن ، لكنّ الألم جعل يشتدُّ عليه ، فاستأذن من أزواجه أنْ يبقى فى بيت (عائشة) فى فترة مرضه ، فأذن له أزواجُه بذلك ، فخرج ﷺ عاصبا رأسه ، يعتمدُ فى مسيرته على (علىّ بن أبى طالب) وعلى عمه (العباس) ، وقدماهُ لا تكادان تحملانه حتى دخل بيت (عائشة) ، فمكث عندها طيلة فترة مرضه .



وانتقلَ النبىُّ ﷺ إلى بيتِ الحبيبةِ لتمرِّضَهُ وتداويه ، ولـمَّـا جـاءَ وقـتُ الصـلاةِ لم يسـتطعْ أنْ يقـومَ ويصـلِّى بالناسِ فقالَ :

ـ مُرُوا (أبا بكرٍ) أنْ يصلِّىَ بالناسِ .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ يا رسولَ اللَّه ، إنَّ (أبا بكرٍ) رجلٌ ضعيفٌ ، وإنهُ متى قـامَ مـقـامَكَ لم يصلْ صوْتهُ إلى المسلمينَ ، فلو أمـرتَ (عمرَ) .

فقالَ ﷺ :

ـ مُرُوا (أبا بكرٍ) أنْ يصلِّىَ بالناسِ .

ووضعَ الرسولُ ﷺ رأسهُ فى حجرِ (عائشةَ) ، وراحتْ تتأملُهُ بدهشـةٍ وهى تـراهُ يشـخَصُ ببـصـرِهِ إلى السمـاءِ ويقولُ :

ـ بلِ الرفيقُ الأعلَى من الجنةِ .

وأدركتْ (عائشةُ) أنَّ الرسولَ ﷺ قد اختارَ جوارَ ربِّهِ ، فقالتْ وهى تضعُ رأسهُ على الوسادةِ :

ـ خيِّرتَ فاخترْتَ والذى بعثكَ بالحقِّ .

ولم يصدِّق المسلمون النبأ ، أحقًا مات رسولُ اللَّه ﷺ ؟

وهنا قامَ (أبو بكرٍ الصديقُ) بأعظمِ دورٍ في تاريخِ الإسلامِ فقدْ قالَ في يقينٍ :

ـ أيها الناسُ ، إنهُ من كانَ يعبُدُ (محمدًا) فإنَّ (محمدًا) قدْ ماتَ ، ومنْ كانَ يعبدُ اللَّه فإنَّ اللَّهَ حيٌّ لا يموتُ .

ثم تلاَ عليهم قولَهُ (تعالَى) :

﴿ ومَا محمَّدٌ إلاَّ رسُولٌ قدْ خلَتْ منْ قبْلِه الرُّسُلُ أفَئنْ



مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ .

[آل عمران : ١٤٤]

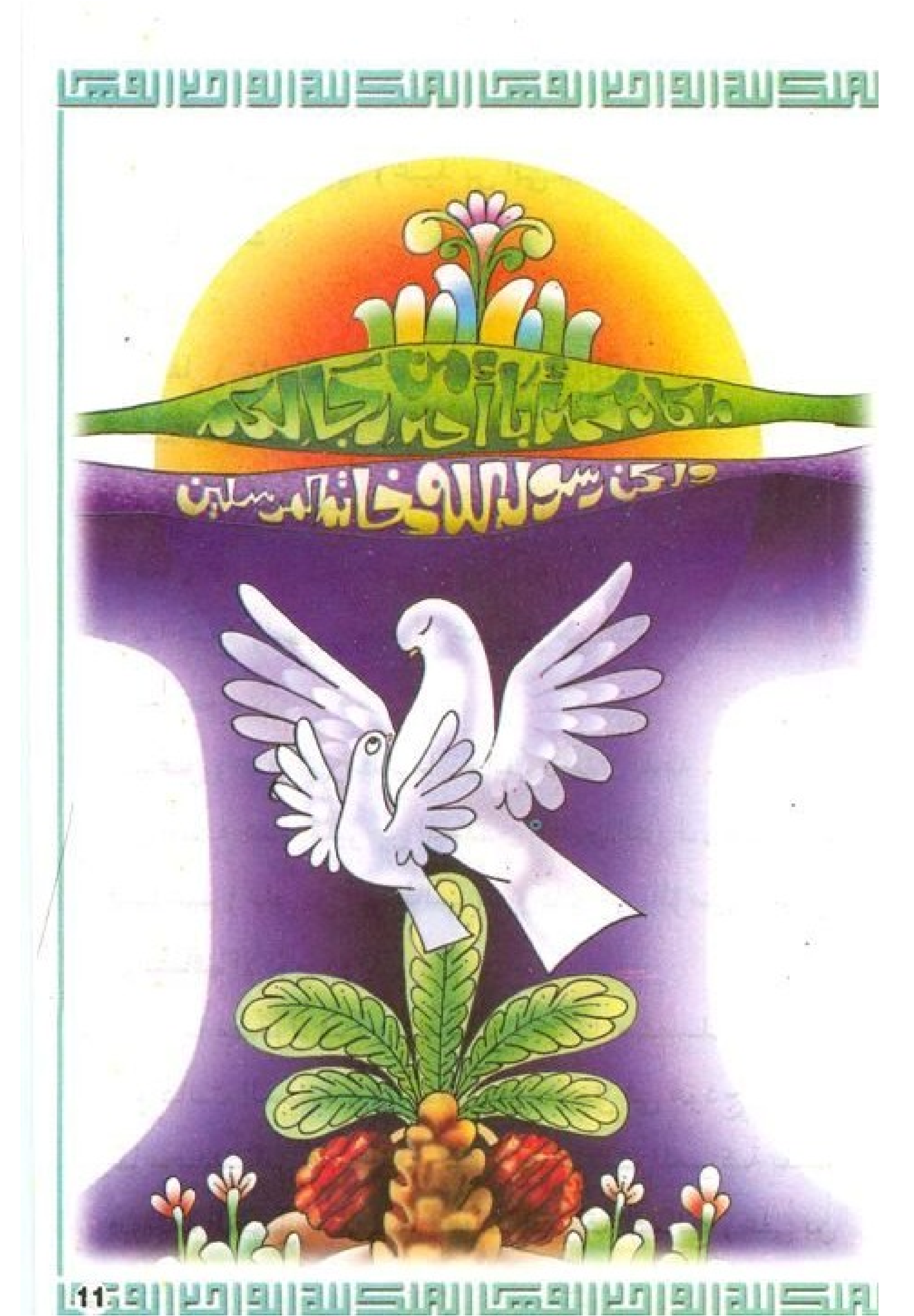
وأفاق المسلمون على هذه الحقيقة الأليمة ، ولأول مرة تنهمر دموعهم بهذه الغزارة ، وتظلم الحياة أمامهم وقالوا :

ـ والله ، لكأننا نسمع هذه الآية لأول مرة ، وما نعلم أنها نزلت إلا حين قرأها (أبو بكر) .

وعاشت (عائشة رضى الله عنها) بعد الرسول ﷺ زمنا طويلاً ، وأصبحت خلال هذا الزمن المرجع الأول للمسلمين فى الحديث والسنة والفقه ، حتى قال العلماء عنها :

ـ لقد حفظت (عائشة رضى الله عنها) نصف أحكام الشريعة .

ولم تعش (عائشة رضى الله عنها) بمعزل عما يحدث على الساحة الإسلامية ، فقد شاركت فى الأحداث مشاركة إيجابية ، وكان لها موقف معروف ، فبعد أن حاصر الثوار والمتمردون بيت (عثمان بن عفان) وقتلوه ظلما وبغيا ، جاء الخبر إلى (عائشة) وهى فى طريقها


ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم المرسلين

إلى مكةَ حيثُ لقيها (عُبَيْدُ بنُ أبى سلمةَ) فقالتْ لهُ :

ـ ما وراءَكَ ؟

فقالَ :

ـ قُتلَ (عثمانُ رضي الله عنه) بأيدى البُغاة الأشرار .

فسألتهُ قائلةً :

ـ وماذا صنعَ الناسُ بعدهُ ؟

فقالَ :

ـ اجتمعَ رأيهمْ وبايعوا (علىَّ بنَ أبى طالبٍ) .

فقالتْ :

ـ قتلَ (عثمانُ) مظلوما ، واللَّه لأطلبنَّ بدمه .

واجتمعَ عددٌ كبيرٌ من المسلمينَ طالبينَ الثأرَ لـ (عثمانَ) ، فلما علم (علىُّ بنُ أبى طالبٍ) ، وكانَ أميرَ المؤمنينَ وخشىَ أنْ تتفاقَمَ الأُمورُ ، وقالَ :

ـ إنها ستكونُ فتنةٌ وسأُمسكُ الأمرَ ما استمسكَ بيدى .

وكانت السيدةُ (عائشةُ) على جملٍ فى هودجٍ تراقبُ ما يحدثُ فى أثناء المعركة ، وسميتِ المعركة باسمِ « واقعَةِ الْجملِ » ، ولمَّا انتهتِ المعركةُ لصالحِ (علىِّ بنِ



أبي طالب) ، أمر جنوده أن يحسنوا إلى أم المؤمنين (عائشة) ، وقد أحسن الإمام (علي) إليها ، ولما كان يوم رحيلها حضر الإمام (علي) ليودعها بنفسه ، وأحست (عائشة) بما في نفس (علي) من عتاب فقالت :

- يا بني ، لا يعتب بعض على بعض ، إنه والله ما كان بيني وبين (علي) في القديم ، إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه على معتبتي لمن الأخيار .

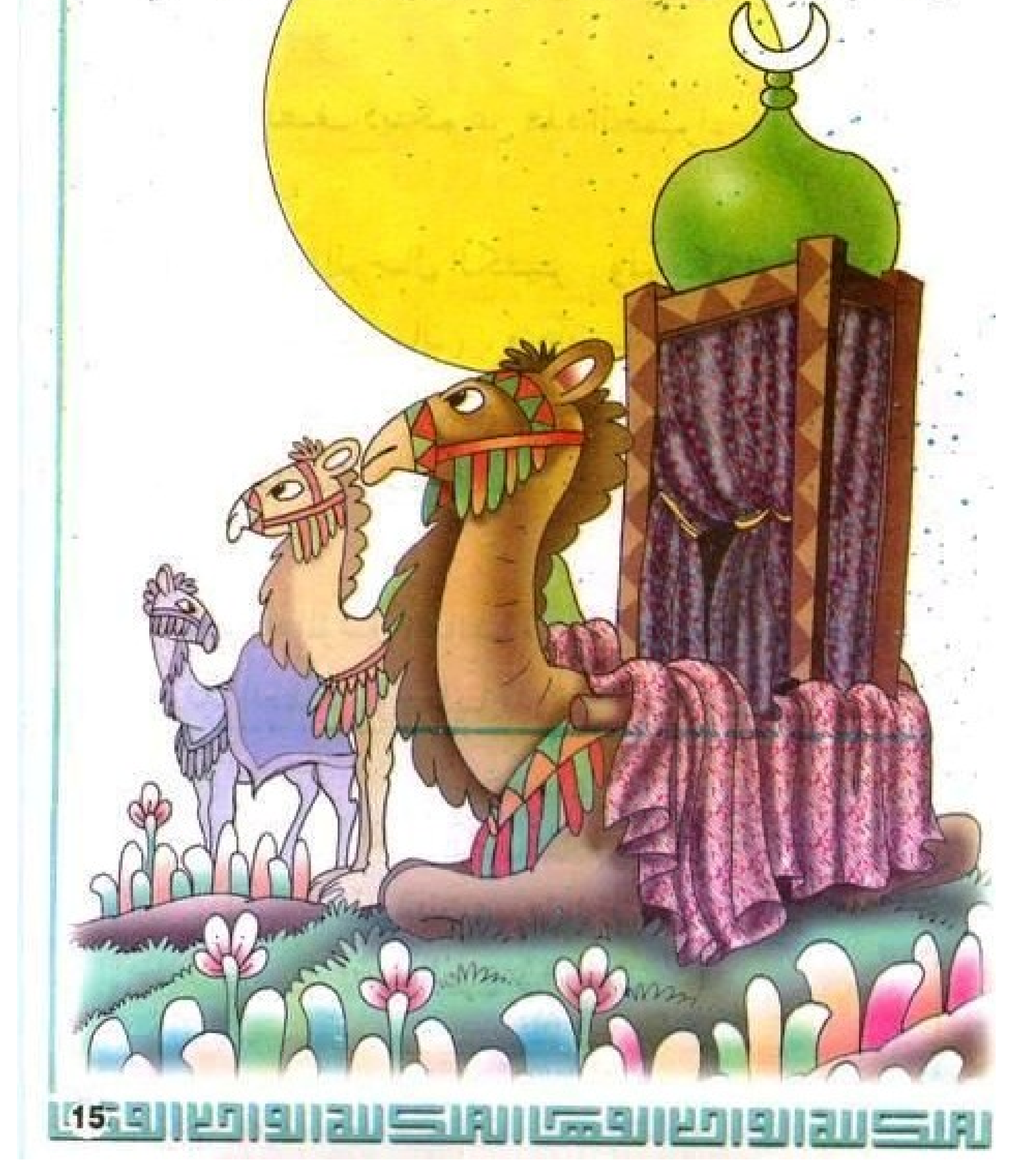
فقال (علي) :

- أجل والله ، ما كان بيني وبينها إلا ذاك ، وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة .

وبقيت (عائشة رضي الله عنها) تشارك في الأحداث السياسية والاجتماعية ، وتجتهد رأيها ما استطاعت ، فإن أصابت فلها أجران ، وإن أخطأت فلها أجر واحد ، كما قال رسول الله ﷺ .

وقد توفيت (رضي الله عنها) عن عمر يناهز السادسة والستين وذلك عام سبعة وخمسين للهجرة ، وصلى عليها (أبو هريرة رضي الله عنه) ، ثم دفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين .

ولئنْ كانتْ (عائشةُ) قدِ انتقلتْ إلى جوارِ ربِّها وودَّعها المسلمون ، فقدْ تركتْ من العلمِ الغزيرِ والأحاديثِ الشريفةِ ما يذكُرُ المسلمين بها في كلِّ حينٍ ،



فلا يخلو كتابٌ من كتب الأحاديث من حديث روته (عائشة رضى اللهُ عنها) عن رسول الله ﷺ .

ويكفى أنَّ الرسول ﷺ أوصى المسلمين بأن يأخذوا عنها العلم فقال ﷺ :

ـ خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء .

وقال ﷺ :

ـ كمل من الرجال الكثير ، ولم يكمل من النساء إلاَّ (مريم ابنة عمران) ، و (آسية) امرأة (فرعون) ، و (خديجة بنت خويلد) ، و (فاطمة بنت محمد) ، وفضل (عائشة) على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . .

رحم اللهُ أمَّ المؤمنين (عائشة) رحمة واسعة ، ونفع المسلمين بسيرتها العطرة ، وجعلها قدوة لنسائنا وبناتنا وأخواتنا .

(تمت)

الكتاب القادم

حفصة بنت عمر بن الخطاب (١)

(شرف الزواج من الرسول ﷺ)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٣٦٤٤

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٥٨١ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧